الالهام والالتزام



***

ليس « الالتزام » تعبيرا موفقا ، وان كان موفقا ما يهدف اليه من « خدمة الانسان وخدمة المجتمع على أوسع نطاق ممكن » . ومن الاهمية بمكان ان لا يحول هذا الاصطلاح الثقيل دون رؤية الهدف النبيل . ومع ان الالتزام في عرف جان سارتر يقتصر على ناحية معينة من الفنون ، فان ما نرمي اليه لا علاقة له بالتزام سارتر ولا بالوجودية التي لا ندري كيف تتلاءم مع الالتزام ، عنده وعند زملائه . والناس في فلسفة الوجودية — ان صح ان تكون هذه فلسفة — « انما يعيشون ليعيشوا فقط » ! !

ونحن نعلم ان في الغرب ادبا وفنا لا صلة له بالالتزام، ولكن هذا لا يمثل ادب الغرب الرفيع او الاعم ، سواء أكان صاحبه رجل فن خالص ام رجل ثقافة عامة ام عالما من العلماء ، ام فيلسوفا . وكثيرون من الفنانين يلتزمون ملهمين ، غير واعين الى نظرية للالتزام او غيرها . وليس الرأي تشيعا لهذه النظرية ، فقد ذكرنا ان الالتزام عندنا هو « السنن الطبيعي الذي يجد فيه نفسه الاديب او الفنان او الكاتب او العالم ، لو نشأ نشأة سليمة واتبع طريقا رشيدة لم تؤثر فيها عوامل الانحراف والتمويه » . لكأننا نقول ان الفنان المطبوع يولد ملتزما كما تولد معه نسمة الحياة ، او يهتدي الى ذلك كما قد تهتدي نفسه سواء السبيل .

وفي هذا المعنى لا نستطيع ان نقرر مثلا ما اذا كان الاستاذ البير اديب منشيء هذه المجلة اديبا ملتزما بالمذهب ام غير ملتزم ، والواقع اننا نظنه غير ذلك ، ولكن اصالة الفن في نفسه هي التي تنطق بهذه العبارة : « نحن في عصر متماسك الاجزاء مرتبط ارتباطا قويا متلاحما ، فما من راي ادبي او فني او اجتماعي او اقتصادي يمكن اطلاقه بمعزل عن تأثيرات المجتمع بكامله ، بل اقول من اللازم ان يكون متجاوبا مع أحدث النظريات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والفلسفية والفنية ، والا اعوزته الكثير من عوامل حقيقة عصره » . (الاديب ص ٥٦ عدد فبراير ١٩٦٢)

وشبيه بهذا المعنى ما نورده هنا للكاتب الانجليزي المعاصر فيليب توينبي اذ قال : « ان القضية الاساسية في النقد الادبي في زماننا هي العلاقة بين الخلق والادب . فليس بفنان بعد الان من يرى أي معنى في دعوى الفن للفن ... اني اعتقد انه يجب على الكاتب المبدع ان يحيط بالآفاق الواسعة للحياة الانسانية التي ليس للحكم الخلقي عليها سلطان . »

ومثل ذلك ايضا ما قاله الدوس هكسلي ، حرفا بحرف : « ان هنالك مقياسا قاطعا للقيم الفنية . وهو مقياس يرجع في مرده الاخير الى المقياس الخلقي . ويعتمد العمل الادبي في الحكم على حسنه ورداءته الاعتماد كله على الصفة الخلقية الناطقة في هذا العمل » . ولعلنا لا نفهم كثيرا مما يقول هكسلي حين يعرف « الصفة الخلقية » اللازمة بأنها « العظمة الطبيعية الاصيلة التي لا دعوى فيها ولا تظاهر » .

ومن الجدير بالذكر ان ليس بين هؤلاء الكتاب الثلاثة رابطة ، فهم جميعا غير سياسيين ولا ينتمون (فيما نعلم) الى حزب سياسي او مذهب ، اللهم الا الفن الاصيل الذي تشرق به نفوسهم ملهمة مختارة . وقد يكون هكسلي اعتمد في اصالته هذه على وراثة علمية معروفة في بيئته الخاصة ، لكن المحقق انها لم تكن ذات وزن كبير ازاء اصالته في الفن ولوذعيته في الثقافة . ومن المحقق ايضا اننا لا نستطيع ان « نتهم » بهذا البير اديب او فيليب توينبي ، فان الهام الاديب الصادق مثل اكتشاف العالم الصحيح .

عمان — محمد اديب العامري

نهر الاردن يتكلم

لو كان في قلبي وفي عصبي
كالشاعر المجنون كاللهب
نار تحرّق تربتي وغدي
لهتفت يا ربي عليُّ ، على
الاعداء يا ربي !
ولسارت الآكام من نجدي
ولهاجت الارزات من جبلي
وانسابت الصحراء في جلل
يا اخت اين النسر والهادي
ينقضُّ في الوادي
أيطير بي هول وتبقى في
قومي كرامتهم بلا دنس
فلندفن الاجساد بالرفش
والآلة الصمّاء في جسدي
أأنا بلا حس ؟

لو كنت نحّاتا جمعت ثرى
بلدي ، مع الاكثاب في خلدي
وبنيت امجادا مدى الدهر
وعرضت فنّي روعة منّي
فدفنت اوصابي

لو كان في موجي اناشيدي
لنثرت مائي فوق آلامي
اسقي الثرى الحان اوطاني
او كنت كالحاوي مع الافعى
قطّعت اعدائي

لو كنت انسانا لوحّدت
في اضلعي آمال آبائي
تاريخهم مد الدنى نورا
......

ودعوت أشهد ماضيا ولى
فرايت في قلبي :
عيسى وأحمد عزّيا نفسي
يحيى بمائي عمّد الاهلا
فوقي راى عيسى السنا الاعلى
والمصطفى اسرى الى القدس
اذ مر بي مرّاً مع البرق
يلتفُّ في موجي

لو كنت .. لكني انا ادرى
بالمحنة الكبرى ، انا ادرى
ارضي مع الاعداء لا تقوى
أهلي تفرّق شملهم عرضا
يفدونني ، لتبيعني أخرى !
يدهم على نحري
وكأنني في أمّتي شبح
ينسى ، كأن ما كان في صدد
ما كان في بيع وفي قدس
والسادرون غطيطهم نكد
لا يأبهون ، فما لهم بدد
فمتى يحسّون ؟

وحكايتي رعب الى الاهل :
ان ذلّني الاعداء في تربي
ان قطّعوا الاوصال في دربي
ان قضَّ مهدي آلة حمقا
أفلا ترجّع ندبتي حقا ؟
أولا .. فأهتف يا
ربي ، على الاعداء يا ربي
وعليُّ في بلدي !

ثريا ملحس

رواية الببر كما يراها اديب عربي

هذه المحاضرة اعددتها بالايطالية ، ثم القيتها في ١٠ نيسان ١٩٦٢ في كلية الماجستير في جامعة مدينة باليرمو ، مسقط رأس صاحب « البير » ومثواه . ولم أقدم لها بتعريف او تلخيص للرواية ، لان هذه الرواية يعتبرها اهل باليرمو خاصة ، وصقلية عامة ، كتابا وطنيا – او انجيلا جديدا – يحفظه الصغار والكبار على السواء ، فلو انني لخصتها لهم لكنت كمن يهدي المكرونة الى أهل ايطاليا ... ولذلك قدرت – وكان تقديري مصيبا – ان كل مستمع يعرف موضوع الحديث بكل تفاصيله ودقائقه ، ولا سيما ان الجمهور كان نخبة ممتازة من اساتذة الجامعة وطلابها ومن صفوة اهل الفكر والمجتمع هناك .

أما القارىء العربي فالامر معه مختلف كل الاختلاف ، ولذلك ارجو ان يعود الى عدد اغسطس (آب) ١٩٦٠ من مجلة « الاديب » ليقرأ هناك مقالي عن رواية « البير » هذه وصاحبها ، فيعرف ملخصها او الفكرة التي تدور عليها . ومعذرة ان لم أعد الى تلخيصها ههنا مرة أخرى . (الناعوري)

بقلم عيسى الناعوري

***

في شهر تموز ١٩٦٠ اتيح لي ان اقرأ للمرة الاولى رواية « البير » ، وان اعرف اسم « جوزيبي تومازي دي لا مبيدوزا » . كانت الطبعة الخامسة والعشرون هي التي وقعت حينذاك في يدي ، وكانت قد ظهرت في حزيران ١٩٥٩ ، بينما ظهرت الطبعة الاولى في تشرين الثاني ١٩٥٨ فقط .

وبدا لي حينذاك غريبا ، بل امرا لا مثيل له ، ان يظهر اثر ادبي لمؤلف لم يعرف قط كاتبا واديبا – على الرغم من ثقافته الواسعة – بعد وفاة صاحبه ، ويستطيع ان يظفر بمثل هذا النجاح الفريد – لا النادر فحسب – ويصل الى مثل هذه الشهرة التي لا نظير لها .

وبعد ذلك ، في اكتوبر ١٩٦١ ، ابتعت من روما نسخة من الطبعة التاسعة والستين التي ظهرت في حزيران من ذلك العام . وفي خلال ذلك كنت قد قرأت في جريدة التمبو « الزمن » الصادرة في ١٨ آذار ١٩٦١ مقالا بقلم « بييرو اكْولتي » عرفت منه ان هذه الرواية كانت قد رفضت في حياة صاحبها مرتين من قبل دور للنشر ، واعتبرها الكاتب الروائي الكبير « ايليو فيتوريني » رواية فاشلة – وفيتْوريني مواطن لتومازي – . ولا شك في ان ذلك كان امرا مؤلما للغاية للمؤلف ، الذي مات بعد ذلك بمدة قصيرة وهو يطوي خيبته المرة في صدره ، « ولم يكن يدور بخلده – كما يقول بييرو اكولتي – حتى في لحظات الهذيان ، ان عنوان روايته « البير » سيصبح بعد قليل لدى مواطنيه وسيلة لذكره ولتكريمه » .

الا انه على الرغم من المناقشات التي أثارتها الرواية ، ومن مقدمة « جورجيو باسْاني » المهللة الرائعة ، ومن تصفيق العديد من الكتّاب والنقّاد للرواية ، وعلى الرغم من النجاح العجيب الذي لقيته ، على الرغم من ذلك كله لم يكن « فيتْوريني » وحده هو الذي ظل يصر على اعتبار الرواية فاشلة ، بل كان هناك نقاد آخرون يرون رايه ، ومنهم « انريكو فالكوي » ، مثلا ، الذي يقول في عدد جريدة « المعرض الادبي » الصادر في ٢١ حزيران ١٩٥٩ :

« من المؤسف ان البير لا يستحق التوصية بان ينال مكانا في متاحف التاريخ الطبيعي ، وكان عليه ان يقتنع بانه لم يعد اكثر من « قط ميت » ، اقول هذا دون سخرية » .

ان وجهتي نظر النقد هاتين ، او على الاصح ان هذين النوعين – المتباينين كل التباين – من الحكم في أمر هذا العمل الادبي – ولنقل انه يمثلهما باسْاني وفالكوي – يبيّنان لنا بوضوح ان الاحكام النقدية انما تصدر عن اذواق وآراء شخصية اكثر مما تصدر عن اذواق عامة او عن قواعد ثابتة ، فليس في الفن قواعد ثابتة ، والنقد تؤثر فيه دواع متعددة يجدر بنا ان نذكر منها :

١ – ثقافة الناقد ، ٢ – حالته النفسية في الوقت الذي يدرس فيه العمل الادبي ، ٣ – معرفته الشخصية للمؤلف .

هذه المؤثرات وغيرها قد تجعل الناقد يرى الاثر الادبي سيئا جدا ، بينما يراه ناقد آخر عملا ممتازا ، بل قد تكفي لتجعل الناقد نفسه ينقض حكما سابقا أطلقه ، بحكم آخر يخالفه كل المخالفة .

وهذا يذكرنا بالمقدمة التي كتبها « ايوجينيو مونتالي » للطبعة الاولى من ديوان « اغان باروكية » للشاعر «لوشيو بيكْولو » ، ففيها نجد موقفين مختلفين ، او حالتين نفسيتين متباينتين لدى مونتالي ، وبالتالي نجد حكمين متغايرين : الموقف الاول قبل اللقاء الشخصي بين مونتالي

وبيكّولو ، والثاني بعده .

في المشهد الاول نرى الناقد ـ وهو شاعر كبير ايضا ، بل هو بين اكبر الشعراء الغربيين ، لا الايطاليين فحسب فـي الآونة الحاضرة ـ يتلقى « كتيبًا في داخـل غلاف اصفر ، عليه طوابع بريد قيمتها ٣٥ ليرة ، ولكي يتمكن من اخذه من البريد اضطررت ـ هكذا يقول مونتالي ـ الى دفع غرامة مقدارها ١٨٠ ليرة . ويضيف مونتالي قائلا : « ولم يكن الكتاب يحمل اهـداء ، ولكنـه كان مشفوعا برسالة ، ومصدره كابو دورلاندو في مسّينا » .

في تلك الحالة النفسية ، وتحت تأثير ما ظنه مونتالي من ان الشاعر مجهول وما يزال شابا ، وان كتابه لا يستحق التقديم الى الشعراء ، وان هناك ١٨٠ ليرة غرامة قد دفعها لاستخراجه من البريد ، لم يجد مونتالي في نفسه حافزا على الاهتمام بقراءة الكتاب ، فهو يقول : « ربما كنت اريد ان ارى ما اذا كان الكتاب يساوي المئة والثمانين ليرة ، لذلك حملته معي ، وقرأته دون اهتمام ، ودون ان تغريني الرسالة باعارته أي عناية ... » ثم حدث بعد ذلك ان وعد مونتالي « بالاشتراك في مهرجان ادبي يقام في سان بيلليغرينو للتلاقي بين ادباء من جيلين مختلفين » وقرر ان « يجعل حديثه عن اديب جديد شاب ، هو : « لوشيـو بيكّولو » . (الحديث عن ذلك المهرجان الذي اقيم فـي سان بيلليغرينو نجده في مقدمة جورجيو باسّاني لكتاب الببر) . »

وعندئذ ، يقول مونتالي ، « شرعت أفكر في الامر ... هل حقا كان في وسعي ان اتمنى « التوفيق » للشاعر المجهول بيكّولو ؟ أما كان خيرا له ان أدعه يعيش ويكتب في معتكفه البعيد ؟ »

وما يكاد يمر على ذلك اسبوعان او ثلاثة حتى يتلقى مونتالي زيارة شخصية من لوشيو بيكّولو عينه . وعندئذ يأتي المشهد الثانـي ، فنرى كيـف تتغيَّر الظـروف ، وتتغيَّر معها الحالة النفسية ، وتبعا لذلك يتغيَّر ايضا الحكم النقدي .

يقول مونتالي : « وكان من دواعي دهشتي ان اكتشفت ان الشاعر « الشاب » مولود عام ١٩٠٣ ، اي بعد ولادة مقدمه بنحو سبع سنوات فقط ... لقد وجدتني أمام البارون لوشيو بيكّولو دي كالانوفيلا ، وهـو اديب لم ينشر له شيء بعد ، والى جانب ذلك موسيقي كامل ، ومتعمق في الدراسات الفلسفيـة ... الخ الخ .. » وتعرفون من بقية مقدمة مونتالي ان بيكّولو قد اعتبر عندئذ « حقا شاعرا من ايامنا هذه » .

ان مثل هذه التبدلات الجوهرية لهي نتيجة للمعرفة الشخصية قبل كل شيء ، ولولاها لكان بيكّولو ، دون ريب ، ضحية احكام خاطئة مبنية على الحدس ، وموضعا لنقد جائر .

على ضوء هذه الاعتبارات يمكننا ان نتساءل : هل النقاد الذين رفعوا قدر « الببر » عاليا اصوب رايا في الحقيقة من النقاد الآخرين الذين خاصمـوه واعتبروه « قطًا ميتا لا يستحق التوصية بأن ينال مكانا في متاحف التاريخ الطبيعي » ؟

الذي أراه ان باسّاني ، في مقدمته للببر كان اول من اهتدى الى المفتاح ، المفتاح الحقيقي للرواية ، ووضعه في أيدي القراء . وهذا أمر عظيم الاهمية في كل عمل فني ، فالناقد هو المفتاح ، او هو الذي يحمل مفتاح العمل الفني ويضعه في يد القارىء ، واحيانا ، وربما غالبا ، في يد المؤلف ايضا . وهنا فضل باسّاني العظيم فـي ما يتعلق « بالببر » ، ولعله كان يجهل ان هذه الرواية كانت قد رفضتها دور النشر مرتين من قبل ، وحكم عليها أحد الكتّاب الكبار بالموت ، بكثير من البساطة .

وهناك شيء آخر على جانب كبير من الاهمية ، لا بد من اعتباره ، في ما يتعلق بنضوج « الببر » ، وفي النجاح العظيم الذي ناله في مدة قصيرة جدا . ذلك هو تأخر زمن الانتاج لدى تومازي .

لقد كتب الببر ما بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٦ كما ذكر باسّاني ، وكان عمر المؤلف اذ ذاك ٥٩ـ٦٠ سنة ، وبكلمة أخرى كان المؤلف قد بلغ ٥٩ـ٦٠ سنة من النور ، وأعني : من المطالعة، والتأمل، والرحلات، والاتصالات، والتجارب، والخلاصة من النضج العقلي والروحي . ولقد كان يعرف لغات متعددة ، وقد « اطلع اطلاعا عميقا على الآداب العالمية الرئيسية في لغاتها الاصلية » كما يقول باسّاني . ويقول باسّاني ايضا : « ان حبّه العظيم كان للآداب ، وكان قارئا عجيبا في وفرة مطالعاته ، ولعله انما كتب قليلا ولم ينشر قط شيئا بسبب حساسيته النقدية المفرطة » .

فمن الممكن اذن ان ننسب الى هذا النضوج الكامل ما لرواية الببر من المزايا الكبيرة . ان البدء المتأخر فـي الخلق معناه : ان يخلق المرء خلقا حسنا، وعلى مهل ، وان يتجنب اخطاء الشباب واوهامه التي قد يقع فيها المؤلفون الذين يبدأ موسم الخلق عندهم مبكرا ، دون نضج .

وفي الواقع انني عند قراءتي للببر شعرت بصفاء ذهن المؤلف ، وبالاتزان والهدوء اللذين قاد بهما فصول كتابه حتى نهاية الفصل السادس ، وبنقاوة عبارته الشعرية وبساطتها ، وبأمانته للاحداث ـ والعائلية منها بشكـل خاص ـ المستقاة من زمن الرواية وبيئتها . وهذه كلها قيم رئيسية وضرورية لكي يستطيع عمل فني ان يستحق الاعجاب ، ولهذه القيم نفسها استطاع « الببر » ان يكون لدى الكثيرين « عملا في القمة ، وُلد شابا ساحر الجمال كالالهة مينيرفا ـ كما يقول لويجي بارتزيني ، وهو لقـاء سعيد بين رجل عبقري وفكرة مدهشة ، بل هو ثمرة تأملات طويلة ، ومطالعات عديدة في خمس لغات عـلى مدى عشرات من السنين » .

ان مكان الروايةهو صقلية، وزمنها هو غزوةغاريبالدي،



الاستاذ عيسى الناعوري يلقي محاضرته عن « البير » وعن يمينه المستشرق ريتستانو وعن يساره ممثل مركز التعاون بين شعوب المتوسط في باليرمو الدكتور كريسبي

•

وافول العهد البربوني ، في الفصول الستة الاولى من الرواية . اما الفصلان الاخيران فيستمران نحو نصف قرن بعد ذلك التاريخ . وبينما تتعاقب الفصول الستة الاولى في مدى سنتين ونحو ستة اشهر فقط ، فان الفصل السابع يأتي بعد فترة انقطاع مدتها احدى وعشرون سنة ، ولكي نصل الى الفصل الثامن نقفز قفزة اخرى اوسع واكبر ، مدتها سبع وعشرون سنة ، مرة واحدة ، دون ارتباط بالاجزاء السابقة من الرواية .

وفي الواقع يشعر القارىء شعورا عنيفا بهذا الانقطاع ما بين الفصل السادس والفصل السابع ، ويزداد هذا الشعور بين الفصل الثامن والرواية كلها .

في رأيي ، ان الرقص ، في الفصل السادس ، هو النهاية الحقيقية للببر، كعمل فني اصيل كامل النضج، وكان يجب ان تقود تأملات الامير في الموت ، وهو في مكتبة آل « بانتاليوني » امام صورة (موت الصديق) ، بخطى طبيعية الى الفصل التالي (موت الامير) ، غير ان الموت جاء متأخرا جدا ، فقد وصل بعد انقطاع طال احدى وعشرين سنة عن زمن الرقص . ولنتصور كيف ان كل تلك السنين الطوال قد الغيت دفعة واحدة لشيء واحد فقط ، وهو ان نصل الى موت البطل ، دون اعتبار لاستمرار الحكاية ووحدة العمل الفني .

والقارىء يخيل اليه ان المؤلف ، بعد الفصل السادس ، انما تعمد الوصول حالا ــ لا ندري لماذا ! ــ الى نهاية عمله، واراد ان يختم لوحة الاسرة الببرية ، او على الاصح عملاقها الببري الاخير الامير فابريتسيو سالينا ، مهما يكن الثمن ، دون تقيد بالزمن ، او بالبيئة ، او بالاحداث الاجتماعية والسياسية كما فعل من قبل بملء التوفيق في الفصول الاولى . وهكذا نصل فجاة ، ودون سوابق طبيعية ، الى حيث نجد في الفصل السابع : [كونشيتا «في الاربعين من عمرها» ، «ستيلا الحبيبة» «متوفاة» لا ندري متى ، المراصد «يعلوها الغبار منذ عشر سنوات»، والكاهن اليسوعي الاب بيروني « غبارا هو ايضا » وتانكريدي « نائبا ، ومرشحا لمفوضية لشبونه » ، وفابريتسيو الصغير ــ الذي ليس في الصفحات السابقة اية اشارة الى زواج ابويه ــ « شابا . . . مع اقرانه في المدرسة الاعدادية ») (وهذا على كل حال ، امر طبيعي بعد حب دام احدى وعشرين سنة بين ابيه تانكريدي وامه انجيليكا) .

اما الكلب (بنديكو) فلا نجد عنه كلمة واحدة بعد الفصل الخامس ، ثم نراه فجاة عند آخر الفصل الثامن : « اذنين منتصبتين ، وخطما من الخشب الاسود ، وعينين مشدوهتين من الخرز الاصفر ، كان ذلك (بنديكو) الذي مات منذ خمسة واربعين عاما ، وحنط منذ خمسة واربعين عاما حتى اصبح عشا للعث والسوس . . الخ الخ» وطبيعي ان يقذف حالا بعد ذلك من النافذة .

وانجيليكا ايضا نراها فجأة مرة اخرى قرب نهاية الفصل الثامن ، ولكنها تكون عجوزا سبعينية ــ يا لضيعة الجمال ! ــ ومن دون زوجها تانكريدي « الذي توفي قبل ثلاث سنوات » .

للحكم على الفصلين الاخيرين من الببر اقول انهما قد يصلحان جيدا ليكونا اقصوصتين مستقلتين يمكن اضافتهما بسهولة الى كتاب (اقاصيص) تومازي المنشور عام ١٩٦١ ، ولكن ليس كخاتمة لرواية الببر .

اما في بقية الرواية فقد استطاع المؤلف ، عن طريق الاشخاص الاخرين ، وبواسطة تأملات بطله الاول فابريتسيو سالينا وافكار وخدته ، ان يرسم لوحة حقيقية للامير وانفعالاته ، حتى الدقيقة جدا منها ، في مختلف الظروف والاحوال ، امام الاحداث التاريخية ، والتقلبات الاجتماعية والسياسية : في عهد البربون اولا ، ثم في عهد الثورة .

لقد ادى تبدل الحكام الى تبدل عظيم في المجتمع الصقلي: فالاسياد الارستقراطيون فقدوا الكثير من اعتبارهم وامتيازاتهم ، وجاء اسياد جدد وقادة للمجتمع ليحتلوا مكانهم . وهذا التبدل ، سواء في المجتمع الصقلي ام في احاسيس ابطال الرواية ، ولا سيما بطلها فابريتسيو ، وصفه المؤلف بأروع ما يمتاز به الفن من حسن التعبير وطلاوته ، ومن صفاء الشاعرية وشفافيتها .

وفي ما يلي شيء من وصفه للحالة النفسية الجديدة لدى الامير (في الفصل الثالث) بعد ان استقبل في منزله لاول مرة على مائدة الغداء السيد كالوجيرو سيدارا وابنته انجيليكا :

« عزف ، طلقات مسدسات ، قرع اجراس ، وترانيم

« اللهم نمدحك » عند الوصول ، اما فيما بعد ! فالثورة البرجوازية التي تصعد على سلم منزله في الفراك الذي يرتديه السيد كالوجيرو ، وجمال انجيليكا الذي يضع في الظل جمال ابنته كونشيتا الخجول ، وتانكريدي الذي يستعجل الزمن للتطور المرتقب ، والذي تجعله احاسيسه الجنسية يستحث الدوافع الواقعية الى التحقق . المزعجات واشاعات الاستفتاء الشعبي ، والمنغصات العديدة التي كان عليه ان يذعن لها هو نفسه ، النمر الذي اعتاد سنين عديدة ان يزيل الصعوبات من طريقه بدفشة من قدمه » .

واما من الناحية الجنسية فنرى انفعالات الامير امام الحب الذي نشأ بين ابن اخته المحبوب تانكريدي وابنة سيدارا ، « وكان في الواقع احساسا غير مرغوب » كما يقول المؤلف :

« في احدى المرات بينما كان يضع السكر في فنجان الشاي الذي قدمته له انجيليكا ، فطن الى انه كان يحسد الامكانات التي كانت متاحة لامثاله من امراء سالينا ، وامثال تانكريدي من امراء فالكونيري قبل ثلاثة قرون ، بحيث كانوا يستطيعون ان يقضوا رغائبهم في مضاجعة فتيات ازمنتهم ، امثال انجيليكا ، دون ان يمروا امام الكاهن ، ودون ان يبالوا بدوطات القرويات — وهي دوطات لم يكن لها وجود — ومن غير ما حاجة الى دفع اخوالهم المحترمين للرقص بين البيض لينفصحوا — او لا يفصحوا — عن رغائبهم الخاصة » .

كان ذلك بعد الثورة الغاريبالدية المظفرة ، اما قبل ذلك فقد كانت : « كلمات تانكريدي الملأى بالالغاز ، وكلمات فيرارا البليغة ، والفاظ روسو الباطلة والمعبرة معا ، تترك في نفسه سرها المهدىء . امور كثيرة كان يمكن ان تقع ، الا ان كل شيء كان يمكن ان يكون رواية هزلية ، رواية صاخبة خيالية ، تصحبها قطرات من الدم على الملابس التهريجية ... كان يود ان يقول لروسو — لولا ان منعته من ذلك دماثته الفريزية — : لقد فهمت جيدا ، انتم لا تريدون ان تدمرونا نحن « آ باءكم » ، وانما تريدون فقط ان تأخذوا مكاننا ، بالعذوبة ، وبالاخلاق الطيبة . وربما وضعتم في جيوبنا بضعة الوف من قطع النقد (الدوكات) ، اليس كذلك ؟ ان ابن اخيك ، يا عزيزي روسو سيعتقد مخلصا انه بارون ، وستصبح انت — وما يدريني ؟ — متحدرا من صلب غراندوق من موسكو ، بواسطة اسمك « بدلا من ابن فلاح ذي جلد احمر كما يدل على ذلك اسمك في الواقع . وابنتك ستكون قد تزوجت قبل ذلك واحدا منا ، ولعله تانكريدي هذا نفسه ، بعينيه الزرقاوين ، ويديه الصغيرتين المعروقتين . انها على كل حال جميلة ، ومتى تعلمت مرة ان تغتسل ... فسيظل كل شيء على حاله .. على حاله طبعا ، مع شيء غير ملحوظ من تبدل الطبقات ! »

انعزالية ، ومرارة ، وسخرية معا . ذلك كان موقف الامير فابريتسيو سالينا كما صوره تومازي اروع تصوير .

اما الحقد الحقيقي على الاوضاع الجديدة فتكشفه لنا الزوجة الاميرة ماريا ستيلا عندما علمت ان تانكريدي قد كلف خاله الامير فابريتسيو بان يطلب له يد الانسة انجيليكا من « ابيها العظيم الاحترام » . واليكم كيف تعبر عن انفعالاتها الغاضبة الحاقدة :

« انه لخائن ، كجميع امثاله من المتحررين . لقد خان الملك اولا ، والان يخوننا نحن ! هو ، بوجهه الشائه ، والفاظه المطلوة عسلا بينما اعماله مثقلة بالسم ! هذا ما يقع حينما تدخل الى بيتك اناسا من غير دمك ! »

ثم بغضب اشد : « والان يجرؤ بوجهه الصفيق على ان يكلفك انت : عمه ، وامير سالينا ، ووالد المخلوقة التي خدعها (تقصد ابنتها كونشيتا ، طبعا) ، ان تتقدم بطلبه المخزي الى ذلك المحتال ، والد تلك العاهرة ! انك لن تفعل هذا يا فابريتسيو ، يجب ان لا تفعله ، لن تفعله ، يجب ان لا تفعله ! »

اما عندما يصف بعد ذلك صقلية والصقليين ، فان القارىء يشعر حالا ان المؤلف انما يعكس انطباعاته الخاصة اكثر مما يعكس انطباعات فابريتسيو . وعلى الرغم من ان الاسلوب الصافي الناصع هو هو عينه كما في كل الرواية ، الا ان الحكم الجماعي يبدو مبالغا فيه وتشاؤميا — لئلا اقول : ظالما — . وفي ما يلي فقرات من الحوار بين الامير والنبيل شيفاليه :

« لقد كنت تحدثني قبل قليل عن « صقلية » جديدة تتفتح على مدهشات العالم الحديث . اما انا فارى انها ، على الاصح ، عجوز ذات مئة عام ، تجر في عربة الى معرض لندن الدولي ، وهي لا تفهم شيئا ... ولا تحلم



جانب من الجمهور الذي استمع الى المحاضرة . والذين في المقدمة من اساتذة الجامعات وبينهم البروفسور سانت انجلو والبروفسور راغونيزي الى اليسار

في اكثر من ان تجد احلام يقظتها بين الوسائد المبللة باللعاب ، والمبولة تحت السرير » .

ثم : « الكرى ، يا عزيزي شيفاليه ، الكرى هو كل ما يريده الصقليون ، وهم سيكرهون كل من ياتي ليوقظهم ، حتى لو جاء يحمل اليهم احسن الهدايا .. كل التظاهرات الصقلية هي تظاهرات احلام ، حتى ما كان منها بالغ العنف : حساسيتنا هي شهوة نسيان ، طلقات رصاصنا وطعنات خناجرنا هي شهوة موت ، شهوة ركود لذيذ ، اعني انها ايضا شهوة موت ... وما مظهرنا التاملي غير مظهر العدم الذي يريد حل الغاز النيرفانا » .

ثم ايضا : « غرورهم اعظم من شقائهم .. وعلى الرغم من ان نحو عشرة شعوب مختلفة قد داستهم ، فانهم يؤمنون بان لهم ماضيا امبراطوريا يعطيهم الحق في جنازات حافلة » .

وهكذا تظل الفكرة نفسها – فكرة القدرية – عن صقلية والصقليين تدور وتتكرر في صيغ مختلفة ، وفي طرق اقناع متعددة ، من الصفحة ٢٠٩ الى الصفحة ٢١٩ ، اي احدى عشرة صفحة لاجل تفسير فكرة واحدة فقط (وليس من شاني ههنا ان احكم في ما اذا كانت مصيبة ام مخطئة) ولاجل الوصول بعدئذ الى النتيجة التالية : « لقد كنا نحن الفهود ، والاسود ، والذين يخلفوننا سيكونون الثعالب والضباع ، وجميعنا : فهودا ، وثعالب ، ونعاجا ، سنستمر في الاعتقاد بأننا ملح الارض » .

ومن المبالغ فيه ايضا حملة الاب بيرونه الطويلة على الحكم الجديد ، وآراؤه في نبلائه ، من الصفحة ٢٢٧ الى الصفحة ٢٣٥ في الفصل الخامس الذي كان كله وقفا على الاب اليسوعي واسرته .

وهناك مبالغة اخرى يمثلها المشهد بين الامير والاب اليسوعي في الحمام . اليس كثيرا تخصيص خمس صفحات لمثل هذا المشهد ؟! انها لكثيرة جدا ، ولا سيما ان الدافع اليها فضول او وهم من كونشيتا ، وتسرع اهوج من الكاهن !

اما في ما يتعلق بأشخاص الرواية فليس من شك في ان الامير فابريتسيو سالينا هو البطل الوحيد فيها ، فكل الرواية له ، وما الاشخاص الاخرون ، حتى اكثرهم بروزا ، سوى كواكب في سمائه . ولكن حتى في هذا اراني اتساءل : لم بقي في الظل جميع افراد الاسرة البربرية : الزوجة ماريا ستيلا ، والابنتان كارولينا وكاترينا ، والابناء : فرانشسكو باولو (البكر) وجوفاني (الابن الثاني) ، المفضل والكثير التبرم ، وكان في بداية الرواية غائبا منذ عامين ، وظل بعيدا عن صقلية الى النهاية) والابنان الاخران اللذان لم نعرف حتى اسميهما من خلال الرواية كلها (والمعلوم ان فابريتسيو وماريا ستيلا قد انجبا سبعة ابناء ، كما جاء في الصفحة ٣٨) . كل هؤلاء لماذا ظلوا في الظل ، ما عدا كونشيتا التي كانت تظهر احيانا هنا وهناك ؟ لم لم يكن على الاقل للزوجة دور ذو اهمية ، مثل انجيليكا ، مثلا ، او مثل كونشيتا ؟

حتى انجيلينا ، شقيقة الاب بيرونه التعسة تحدث عنها المؤلف في فصل واحد من الكتاب اكثر مما تحدث عن افراد اسرة سالينا ، واعين : ستيلا ، وكاترينا ، وكارولينا ، وباولو ، وجوفاني ، في الرواية كلها .

حتى الكلب بنديكو نجده بين ابرز شخصيات الرواية ، فهو يطالعنا في الصفحة الاولى ، ويطالعنا كذلك في الصفحة الاخيرة . لقد كان هو ايضا كوكبا يدور في فلك الامير ، ولكنه كان ابرز واهم في سياق الرواية ، من جميع البربريين الاخرين ، ما عدا تانكريدي .

اما اشخاص الرواية الذين يأتون في المرتبة الثانية بعد الامير سالينا فهم : تانكريدي ، انجيليكا ، كالوجيرو ، كونشيتا ، بنديكو ، والاب بيرونه . ولست انا المسؤول عن تصنيف الاب بيرونه بعد الكلب بنديكو ، بل هكذا صنفه المؤلف (في الصفحة ٣٠) حين قال : « اما الاب بيرونه الذي كانت مهمته ، الى حد ما ، اشبه بمهمة كلب القطيع ، فقد حنى راسه وسلم امره الى الله » .

هؤلاء هم ابرز اشخاص الرواية ، وقد استطاع المؤلف ان يقدم عن كل منهم لوحة متفاوتة في الوضوح والكمال . وهناك اشخاص اخرون الى جانب هؤلاء ، وهم اقل اهمية منهم في نوع العمل ، الا انهم يساوونهم في الاهمية من حيث انهم نماذج بشرية كاملة من الناحية الفنية .

ولست اريد ان يقتصر حديثي في هذه المحاضرة على الاشخاص الاكثر بروزا ، والاحداث الاكثر اهمية ، لان هذا لن يفيد كثيرا ، ولسيكون معناه اجترار احاديث معادة مرارا عديدة ، وتكرار الفاظ كتبت مرارا لا نعرف عددها في الصحف والمجلات .

ولذلك افضل العناية بالاشياء الصغيرة ، والاشخاص الاقل اهمية وبروزا في الرواية : باتباع الامير فابريتسيو سالينا وضيوفه ومعارفه ، بعقلياتهم وطرق معيشتهم ، وبأساليبهم في العمل وفي التفكير ، في الحب والبغض ، بالافكار والصور الانسانية لاولئك الاشخاص ، غير المثقفين في الغالب ، وكيف تناولهم مؤلف « الببر » . فحتى مثل هذه الاحداث والافكار والانفعالات ، ومثل اولئك الاشخاص القليلي الاهمية من حيث المظهر والطبقة الاجتماعية ، في وسعهم ان يجلو لنابكل صفاء فن المؤلف وعبقريته واصالته ، وقد يكون فنه في بعض الاحيان اصفى واكثر غنى وعمقا منه عندما يتناول طبقات اجتماعية اعلى ، وافكارا اكثر فخامة وتهذيبا .

ساعنى اذن بامثال بيترو روسو ، والمحاسب شيشيو فيرارا ، بالعشيقة ماريانينا ، بانجيلينا شقيقة الاب بيرونه ، بالمدموزيل دومبري المربية الفرنسية ، بالسيد اونوفريو روتولو مدير دونا فوغاتا ، وباخرين من مثل هؤلاء ، فهم ، من جهة ، اقدر من غيرهم على اعطاء الفكرة الصحيحة

والصورة الادق والاكثر تعبيراً عن العصر والبيئة اللذين تدور فيهما الاحداث ، ويتحرك الاشخاص ، وهم ، من جهة اخرى ، ذوو اهمية كبيرة في سياق العمل الادبي والاطار الفني .

ان « الببر » يقدم الينا عن طريق الاشخاص المختارين ، وطرقهم في التصرف ، والعمل ، والتفكير ، مشهدا عظيم الوضوح ، رائع التعبير ، مليئا بالحياة والحركة .

ان روسو ، مثلا ، في حديثه مع الامير ، في الفصل الاول ، لهو مرآة تنعكس عليها ظروف الزمن والبيئة . وكذلك تانكريدي ، وكلاهما ذو روح ثورية ، الا انهما مختلفان جدا : فالاول يعكس الروح الشعبية التي كانت قلوبها مع « الفتيان المغاوير » ، وكانت تريد الثورة لكي تتخلص من الاسياد ورجال الدين ، اما الاخر فيعكس الروح الارستقراطية . انه ينضم الى الثورة لغاية واحدة هي ان يظل سيدا وارستقراطيا بعد النصر . لم يكن ضد النظام الملكي ، مثلا ، ولا ضد الظلم والحكم البربوني الاجنبي ، بل كان يتصيد مكاسب المستقبل من حيث السلطان والثروة .

ولاثبات ذلك اعيد ههنا الحوار الذي دار بين الامير سالينا وابن اخته تانكريدي (ص ٤٢) :

الامير : انك لاحمق يا ولدي اذ تمضي لتضع نفسك مع اولئك الناس . فهم جميعا سفاحون افاكون . ابن اسرة فالكونيري يجب ان يكون معنا ، لاجل الملك » .

تانكريدي : « لاجل الملك ، صحيح ، ولكن اي ملك ؟ ان لم نشترك نحن ايضا في الثورة فان اولئك سيقيمون الجمهورية . اذا شئنا ان يبقى كل شيء كما هو فيجب ان يتغير كل شيء ! هل كلامي مفهوم ؟ » .

اما من حيث وجهة النظر الشعبية فنعيد ههنا الحديث الذي دار بين الامير وبييترو روسو (ص ٤٩) :

الامير : « بييترو ، لنتحدث حديث رجل الى رجل . انت ايضا داخل في هذه الامور ؟ » .

روسو : تصور ان كنت اخفي عنك شيئا يا صاحب السعادة ، والله مثل والدي . ولكن يجب ان اقول ان قلبي معهم ، مع الفتيان المغاوير » .

ثم : « انت تعرف يا صاحب السعادة ، لم نعد نطيق هذه الحالة : تفتيش ، استجوابات ، تقليب بيوت لاقل سبب ، حواجز عند كل زاوية بيت . لم يعد الانسان الكريم يستطيع ان ينصرف الى شؤونه الخاصة . اما فيما بعد فسننال الحرية ، والامن ، وتخفيف الضرائب ، وسهولة العمل ، وحرية التجارة . كلنا ستتحسن امورنا ، والكهنة وحدهم هم الذين سيخسرون ، ان الله يحمي الفقراء المساكين امثالي ، لا الكهنة » .

ثم لكي يطمئن الامير : « ستأتي ايام يكثر فيها اطلاق الرصاص ، والبلبلة ، غير ان قصر سالينا سيظل آمنا ثابتا كالصخرة . انت يا صاحب السعادة والدنا ، وانا كثير

الهاتف

انتفس الصعداء لما فجاة تكلمين
بالهاتف « الخفر المعين » الى المعنى ترسلين
يا ضحكة خضراء في اذني كالروح الامين
تهتز ، تنفذني من الخوف المبرح والظنون
فالهاتف المكتام في الاعصار ملجئي الحنون
وهو استخارتي المبينة : ما يكون ولا يكون
انتفس الصعداء لكني اعود الى الجنون

حلب — علي الناصر

الاصحاب هنا ، ولن يدخل البييمونتيون الا وقبعاتهم في ايديهم لتحية سعاداتكم . ثم انك عم السيد تانكريدي ومربيه ! »

ولا تمر عبارات روسو دون ان تترك آثارها العميقة في نفس (الامير الضخم) كما كانت تدعوه عشيقته ماريانينا . وتكشف لنا عين المؤلف النفاذة انفعالات الامير العميقة جدا لدى سماعه ذلك الجواب من تابعه . وفي ما يلي صورة النفس المتكدرة ، كما يصفها تومازي :

« لقد احس الامير بالمهانة : انه ليحس الان بانه قد انحدر الى حيث اصبح تحت حماية اصحاب روسو ، وكل مزيته ، كما يبدو ، هو انه عم لذلك المسخوط الذي اسمه تانكريدي . « في خلال اسبوع سأصل الى حد ان لا انجو بحياتي الا لانني اقتني بنديكو في بيتي » . ثم يفرك اذن الكلب بين اصابعه بقوة ، فينبح الكلب متألما دون شك ، ولو انه يشعر بالاعتزاز لهذه المداعبة » .

هذا الموقف النفسي الذي وصفه مؤلف « البـبـر » ببساطة كثيرة ، ولكن بعمق شديد ايضا ، ينبىء عن حضور ذهنه ، وعنايته بان لا تفلت منه حتى ادق احاسيس اشخاصه وانفعالاته ، كما يدل ايضا على نفاذ بصره كروائي فنان . انه لا يروي او يصف فحسب ، ولكنه يعيش ايضا كل لحظة ، وكل احساس ، وكل تفكير لدى اشخاصه .

وهذا موقف نفسي اخر ، بسيط وعادي في مظهره ، غير انه يجلو لنا كذلك الانتباه الحاد ، والاستعداد النفسي ، ونفاذ النظر لدى المؤلف ، ذلك هو تعريفه للمحاسب شيشيو فيرارا بكلمات قليلة جدا : « كان رجلا هزيلا يخفي نفس تحرري واهمة ضارية خلف نظارات توحي بالاطمئنان ، وربطة عنق لا عيب فيها » .

حتى الكلب بنديكو كانت له مواقف شعرية مسلية ، وهذا واحد منها :

« كان الامير (وهو يجلس على مقعد) يتأمل ، خالي الذهن ، عملية التخريب التي يقوم بها بنديكو في احواض الازهار ، ومن حين الى اخر كان الكلب يرفع نحوه عينين بريئتين ، كانما يريد منه ثناء على العمل الذي قام به : اربع عشرة قرنفلة ممزقة ، نصف سياج مقلوب ، فتاة صغيرة مدمرة . كان يبدو مسيحيا حقيقيا . « تعال الى هنا يا بنديكو الطيب ! » ويهرع الحيوان فيضع قائمتيه الملوثتين بالطين على يده ، متشوقا لان يعرب له عن غفرانه لفعلته الطائشة في الحيلولة دون انجاز عمله الجميل »

* * *

لقد تحدثت قليلا عن روسو وفيرارا ، غير انني اريد ان اتم صورتهما كما عرضها المؤلف بلمساته القصيرة الرائعة. وفي ما يلي تتمة الصورة :

كان روسو : « الرجل الذي يراه الامير معقولا اكثر من بقية حاشيته ، فهو نشيط ، يرتدي بشيء من الاناقة جاكيتا من المخمل المخطط ، ذو عينين نهمتين تحت جبين لا يعرف الندم . كان بالنسبة اليه تعبيرا كاملا عن طبقة اجتماعية صاعدة ، وما عدا ذلك فهو كثير الاحترام والتبجيل ، ويكاد يكون مخلصا ، على الرغم من انه ينجز سرقاته مقتنعا بانه يمارس حقا من حقوقه ... فمنذ ثلاثة اشهر خبأ في مستودعه ثلاثمئة سلة ليمون من حدائق الامير ، وكان يعرف ان الامير على علم بذلك » !

اما شيشيو فيرارا فقد كان يفرق « في السجلات الضخمة ، وفي هذه السجلات كان يدون بحروف دقيقة جدا — بتأخير عامين كاملين — كل حسابات اسرة سالينا ، ما عدا الحسابات ذات الاهمية الحقيقية » !

والى جانب التابعين اللذين كانا ينجزان سرقاتهما باستمرار وباصرار ، « مقتنعين بانهما يمارسان بعض حقوقهما » : احدهما في مستودعه ، والاخر في السجلات الضخمة ، هناك نموذج انساني اخر تجاوزت امانته كل حد . ذلك هو السيد اونوفريو روتولو ، مدير اعمال دونا فوغاتا ، الذي « كان واحدا من الاشخاص الذين يتمتعون باحترام الامير ، ولعله الوحيد الذي لم يخنه قط . وكانت امانته تقرب من البلاهة ، حتى لقد كانوا يروون عنها شتى الحكايات المضحكة ، ومن ذلك مثلا حكاية كأس العنبري التي تركتها الاميرة مرة نصف ملآنة عند احدى رحلاتها ، ثم وجدت بعد سنة في مكانها عينه ، وقد تبخرت محتوياتها واستحالت حثالة سكرية ، دون ان تمسها يد انسان ، « لان هذا — كما كان يقول — جزء من حقوق الامير لا يجوز التهاون فيه او الاعتداء عليه » (ومن اجل تلك الامانة استحق تقدير الامير وعرفانه) : « يا سيد نوفريو ، انكم حقا لمن الرجال الذين يؤتمنون على حراسة الكنوز ، والعرفان الذي نكنه لكم عظيم جدا » ، فينظر اليه السيد نوفريو شاكرا دهشا ويجيب : « هذا واجب يا صاحب السعادة ، واجب ، » ، ولكي يخفي انفعاله يأخذ في حك اذنه بظفر بنصره الايسر الطويل جدا » .

هؤلاء الاشخاص الثلاثة وكثيرون غيرهم في رواية « الببر » هم نماذج انسانية مختلفة ، الا ان المؤلف ابدع في وصفهم ورسمهم في سطور قلائل . وهناك صور انسانية اخرى ، على الرغم من ان وصفها جاء في الفاظ قليلة جدا ، الا انها جاءت ذات ملامح شديدة الوضوح والتميز ، وفيها جميع الخصائص المعبرة الدالة على انها كائنات انسانية حية : كالسيدة باستيانا زوجة كالوجيرو سيدارا ، التي لم تكن تدع احدا يراها ، « لقد كانت جميلة كالشمس ... الا انه يبدو انها كانت نوعا من الحيوان... تصلح للفراش فقط » .

والمربية الفرنسية مدموازيل دومبروي : « كانت اوتار قوسها قليلة جدا ، وهي مضطرة دائما الى تمثل افراح الآخرين » (لانها تقول مرة لانجيليكا) : « انجيليكا ، انجيليكا ! لتتصور كم تكون فرحة تانكريدي » وفي مرة اخرى تهتف قائلة لتانكريدي: « تانكريد ، تانكريد! لتتصور كم ستكون فرحة انجيليكا ! »

ولم تكن موهبة تومازي المبدعة تقتصر على الابداع في وصف النماذج الانسانية ، بل كانت تصف كذلك كل ما يقع تحت بصر المؤلف النافذ . فلقد كان مؤلف « البير » (ومؤلف اقصوصة « ليغيا » العجيبة كذلك) بأسلوبه الكثير الطلاوة ، وبعبارته الشعرية قادرا على خلع الحياة والاحساس حتى على الجمادات . ومن ذلك مثلا ما يقوله في وصف مجاهر الامير ومناظيره الفلكية (في الصفحة ٥٢) :

« كان المجهران والمناظير الثلاثة التي اعمتها الشمس تجثم وديعة وديعة ، واغطيتها السوداء تحجب عيونها ، كحيوان طيبة مدربة تعرف ان الطعام لا يقدم اليها الا في المساء » .

ان الخيالات اللطيفة والتعابير الشعرية منبثة في كل صفحة من صفحات الرواية تقريبا . وهذان مقطعان منها :

في الصفحة ٩٣ يقول المؤلف : « من جهة البحر كانت غيوم هائلة بلون الحبر تتسلق معارج السماء . فهل ترى شبع غضب الله وانتهت لعنة صقلية ؟ في تلك اللحظة كانت الوف العيون ترمق تلك الغيوم المحملة بالغوث ، وفي حضن الارض تتشوف اليها مليارات البذور » .

وفي الصفحة ١٦٩ : « كانت الشموع تشتعل على اربع وعشرين ذراعا من اذرع الشمعدان الثماني والاربعين، وكل شمعة منها تبدو ، في نصوعها وتوهجها معا ، عذراء يدمرها الحب . وزهور المورانو المزدوجة الالوان على جذوعها المصنوعة من الزجاج المعقوف ، كانت ترنو الى اسفل ، وتتأمل باعجاب تلك الفتاة الداخلة الى المنزل ، وتبادلها ابتسامة مترقرقة سريعة الانكسار » (المقصود بذلك هو زيارة انجيليكا الاولى لقصر اسرة سالينا بعد خطوبتها لتانكريدي) .

أيها السيدات والسادة : ليس « الببر » هو الرواية الوحيدة ، او الاثر الادبي الوحيد لتومازي ، بل له كتاب اخر هو « الاقاصيص » ، وقد ظهر في النصف الثاني من عام ١٩٦١ ، وفي هذا الكتاب الثاني لم اقل بعد شيئا ، ولا اظن من الواجب ان اقول فيه شيئا ، لانه لا يعكس لنا اصالة موهبة المؤلف كما عكسها كتاب « الببر » . ومع ذلك لا بد من ان اقول ان بين الاقاصيص الثلاث التي يشتمل عليها الكتاب واحدة هي (ليغيا) تجلو لنا جانبا اخر من جوانب موهبة المؤلف المبدعة ، وهو : الخيال الخلاق . وعلى الرغم من ان (ليغيا) قصة قصيرة ، الا انها من الناحية الفنية لا تقل عن « الببر » جمالا ، بل وانني لاراها اكثر من «الببر» كمالا وابداعا . اما اقصوصة « صباح المكاري » فلا يبدو انها اكثر من فصل من فصول « الببر » انتزع ووضع على حدة ، واما اقصوصة «البهجة والقانون» فليست من مستوى الاولى ولا الثانية ، ولا ادري الى اي حد يمكن ان تثير اهتمام القارىء وانتباهه .

والان بعد هذه الرحلة البهيجة في دنيا « الببر » أجيء الى النهاية ، فأشير اشارة مباشرة الى الاثر الذي تتركه رواية تومازي دي لا مبيدوزا في الاديب العربي ، ولا ريب في ان هذا اهم ما يترقبه فضول حضرات المستمعين .

من حيث الشكل والاسلوب ليس من الممكن ان لا تلاقي الرواية في نفوسنا صدى مستحبا ، فالقصة العربية المعاصرة ، في الواقع ـ اذا استثنينا القصصيين الذين لم ترسخ اقدامهم بعد ، ولم يجدوا جمهورا يقرأهم باهتمام ـ تنزع الى التحليل ، والى التفصيل ، وتجد لذة في الدقائق الشخصية . وليس من شك في ان هذا من اثر تعلقنا بتقاليد روائية ـ وان تكن حديثة العهد في التاريخ ـ لا يمنع تجديدنا لها في اللغة والاسلوب من احترامنا لخصائصها الواقعية الراسخة .

والقدرية والرضوخ للقسمة اللذان يسيطران على جو « الببر » نجد لهما مثيلا في بلادنا العربية في الفترة عينها التي تدور فيها رواية « الببر » ، فكثير من ابناء البلاد العربية كانوا ـ كالصقليين في العهد البربوني ـ يعانون حينذاك من وطأة الحكم العثماني ، ومن كابوس الجهل والإذعان المسيطر عليهم ، بحيث كان يخيل اليهم ان اقدامهم لا يمكن ان تتحرك الا اذا حركتها الاقدار ، فلا يملك اصحابها ان يصنعوا مصائرهم ، فهم تحت تأثير خدر رهيب ، يجعل من حركاتهم وتظاهراتهم اضغاث احلام ، كتلك التي تحدث عنها صاحب « الببر » في روايته .

الا ان ما يصعب افهامه لذوي الثقافة المحدودة من القراء العرب هو الجو التاريخي والاجتماعي لرواية « الببر » ، فهو جو خاص بصقلية قبل قرن من الزمان ، وقد لا يفهم او ينسجم معه الا من كان ذا اطلاع على تاريخ هذه الجزيرة واحداثها المادية والاخلاقية الكئيبة ، وهذا الاطلاع وحده هو الذي يمكن معه تقديرالرواية والاستمتاع بمطالعتها ، لانها قائمة على أسس تاريخية حقيقية .

أيها السيدات والسادة : لكل مخلوق انساني ، ولكل عمل فني مزاياه ونقائصه ، وكذلك جوزيبي تومازي دي لامبيدوزا وروايته « الببر » لهما مزاياهما العظيمة وعيوبهما غير الكثيرة . وانا ههنا تحدثت عن هذه وتلك ، الا انني قد اكون اقللت من الحديث عن مزايا المؤلف الطيبة ، ومزايا روايته الثمينة . فمعذرة ان كنت قد اضطررت الى تناول الجوانب السلبية لهذا الاثر الادبي الذي سيظل ، رغم كل شيء ، اثرا روائيا عظيما .

عمان — عيسى الناعوري

عينان

من أي حلم رف في دنياي ومضا .. ثم راح
أونسمة عبثت بقلب كان لا يخشى الرياح
يا جنتي عند الرصيف ، تبوح وعدا لا يباح
أعطيتني فوق الذي تهفو له سود الجراح
أيقظت في قلبي الهوى .. طفلا ، يزغرد للصباح
وعبرت ، عطرت الرصيف ، فماج من زهو ، وفاح
حلم ، ولكني سرحت به ، وطرت بلا جناح

عيناك ، يا أهزوجة خضراء تنعش لي النهار
وحكاية البحر العميق سبحت فيه ، ولا بحار
وطفوت فيه ، وغصت فيه ، أهيم ، ألتقط المحار
اصحو ، أحب ، انام ، أحلم لا وصول ولا فرار
قلبي شراع ليس يسكن ، ليس يبحث عن قرار

عيناك ، يا أسطورة يروي حكايتها المساء
عن عاشق يرقى على أهداب عينين السماء
يغفو هناك على رؤاه ، يظل يحلم بالبقاء
من طائر من غير اجنحة يحلق في الفضاء
وحمامة بيضاء خيرة تعيش مع الغناء ..
ورفيف اجنحة الفراش ، تحوم ، تلتمس العطاء
من روضة تهب الربيع جناه ، والدنيا شتاء

عيناك لي ، لي منهما من كل دانية ثمر
من كل هدب رفة يزهو بنغمتها الوتر
من كل ومض ساحر شلال ذكرى ، كم عبر
لي منهما درب النجوم ، غنية عند السحر
لي منهما ما للظلال السود من ضوء القمر !

الكويت — وليد او بكر

ارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة . ابتسامة رضى وقبول . فلقد كانت الملامح التي تقف امامها توحي اليها بانها تقابل غريمتها « هدى » وجها لوجه .. غريمتها ومنافستها في حبها الكبير الذي عاشته بعد طلاقها من زوجها مع صديقها الشاعر .

انها تمقت هذه الملامح التي تذكرها « بهدى » ، وتود لو تنشب اظافرها فيها وتدميها . ولكنها تريد ان تحتفظ بالفتاة ، لانها تريد ان تثأر لنفسها ، ان تغطي انسحابها بتفجير نقمتها الحبيسة على شبيهة « هدى » . انها تحس بمرارة الهزيمة ، ولا تصدق ان « هدى » قد انتصرت عليها وبالسرعة المذهلة التي دارت بها الحوادث .

لقد مضى « كمال » ولم يعد يخصها . واصبحت وحيدة ، تملأ جنبات بيتها رائحة الحبيب الراحل، وتردد جدرانه اصداء صوته الشاعري ، ويطرز كل قطعة اثاث فيه حرف من اسمه .

وتراخت شفتاها بآلية مكتسبة وهي تنقل نظراتها بين الفتاة وابيها. وتعلقت عينا الاب العجوز بوجهها .

— ما راي سيدتي ؟

قالت بلهجة حاولت ان تكون بلا لون :

— موافقة .

— كم تدفعين في الشهر ؟

— ثلاثين ليرة .

— قليل .

— اترك لي هذا الامر . ستكون راضيا على كل حال .

وحين راته يبحث عن كلام يعقب به على وعدها اضافت مطمئنة :

— اننا لن نختلف. سأقدّر اتعاب ابنتك في نهاية الشهر ، بشرف ، وعدالة .

قوّم الاب حينئذ ظهره المحني ، مبديا ارتياحه ، وسحب نفسا طويلا من لفافته :

— انها امانة بين يديك .

— هدّىء من روعك . لا تكن قلقا عليها .

— قبل الان لم تعمل في المنازل.

— اطمئن . سأعاملها كانها صديقتي .

وشدّت على يده وهي تودعه بحرارة مع السلامة واغلقت الباب .

كانت الخادم تجسّد ، بملامح وجهها ، غريمتها « هدى » تجسيدا متناهيا في الدقة والغرابة : العينان الثعلبيتان . الانف الدقيق بحجم اللوزة . الشفتان الشرهتان . الشعر الاسود الملقى على عنقها كالشال . الصدر الذي يتدفق انوثة ويشبع حوله الدفء . انها تكاد تكون

الصنم

بقلم اسكندر لوفا

«هدى» نفسها — الان ، اتبعيني .

صحبتها بين ارجاء المنزل ، تدلها على كل غرفة من غرفه ، وتعرّفها بمقتنياتها النادرة :

— هذا هو الصالون . هنا غرفة المطالعة . هذه غرفة الضيوف . فاز من الصين . لوحة لبيكاسو من باريس. رأس افريقية من كوناكري. هنا مكان معد للاكل . المطبخ . واخيرا المنافع !

وتوقفت هنيهة لتوزع نظراتها الفاحصة على قدّ الفتاة التي تتبعها كظلها ، ولا تملك الا ان تفعل ذلك :

— ان كل ما شاهدت يدخل في نطاق واجباتك اليومية . اريد ان تكون الاشياء نظيفة . براقة . ان ضيوفي اكثر مما تتصورين . وانني



لا أحتمل أن يوجهوا الي ملاحظات تتعلق بالنظافة او بالتنسيق. فهمت؟

اهتز راس الخادم المطوق بالشال ثلاث مرات ، في دعة واستسلام . وبدا عليها كأنها لم تفهم شيئا مما ذكرته سيدتها وامرتها به . الا انها اجابت مسايرة : فهمت !

وارتمت نظراتها المترددة على الارض .

كانت سيدتها في تلك اللحظة منفصلة عنها تماما .

كانت تفكر : ربما كانا معا الان . في مكان ما . وربما كان صوت « كمال » يهمي في اذن « هدى » قائلا لها (لن نفترق . مهما حدث يا عزيزتي لن نفترق) .

لقد قال لها ذلك مرات قبل ان يلتقي « بهدى » وتنتزعه منها . وسيبقى صوته يهمي في اذن «هدى» حتى يلتقي بفتاة جديدة تنتزعه منها . انها لا تدري كم يطول الوقت. ولكن ذلك لا بد ان يقع . وحين يمضي « كمال » لن يقول لها الى اللقاء .. او حتى وداعا . انها تعرفه جيدا كما تعرف نفسها، اسير اللحظة التي يقع فيها تحت تأثير الاخرين .

اما هذا الوجه الذي يتبعها مستسلما لقدره ، الذي ايقظ في نفسها روح الثأر ، واعاد الى ذهنها صور الهزيمة ، فانه لن يقوى على الاحتجاج بله الرفض . انه كالعضلة المسلوبة من اعصابها ، المعطلة عن الحركة . ان صاحبته لا تملك الا ان تهز براسها في ختام كل امر يصدر اليها : فهمت ، فهمت .

ولسوف تقرأ من خلال هذا الوجه ، من خلال الالم الذي لا بد وان يرتسم على قسماته يوما ، معالم الهزيمة التي تتشوق الى رؤيتها مطبوعة على وجه « هدى » .

وتوقف تفكيرها عن الحركة ، لفترة ، ومن ثم تحولت الى الخادم مستردة وجودها ، وكأنها تستيقظ من نوم عميق ، او تعود من رحلة طويلة :

– ويجب ان تنتبهي الى شكلك . اريدك ان تظهري وكأنك قطعة من اثاث البيت ، مرتبة . نظيفة . مشرقة . واذا خاطبك الضيوف اجيبي عليهم . لا تقفي امامهم كالتمثال . لا تكوني قروية بلهاء .

وغرست عينيها في لحم عنقها الابيض ، وفكرت : انها جميلة وسوف تثير انتباه الرجال .

– فهمت ؟

اصيب الراس الصغير بارتعاشة طفيفة، وبدا شعرها ينتفض كجناحي عصفور خائف : – فهمت .

– باختصار ، ستفعلين كل ما آمرك به .

– فهمت .

– وفي نهاية الشهر لن ابخل عليك . سأدفع لك خمسين عوضا عن ثلاثين ، كما اتفقنا . وسيكون لديك ثياب جميلة وانيقة .. وحرية كاملة في الذهاب الى مزين الشعر مرتين خلال الشهر .

كان « كامل » يحب ان يكون اول انسان يقابلها عقب تصفيف شعرها . كان يقبلها قائلا : لون وجنتيك يغري بضمك الى الصدر .

وكان يضمها الى صدره قائلا :

– انني لا اريد ان افقدك . اننا لن نفترق . مهما حدث لن نفترق .

وكان يسألها وهو يعلم ان جوابها سيكون الرفض :

– هل تقبلين بي زوجا لك ؟

وكان يضيف بصدق اعتقدت بانه سيدوم ، وسيبقى حيا ابدا :

– سوف اجعلك تنسين الرجل الاخر الذي مر في حياتك .

كانت تحبه وتعتقد بانه قادر على تبديد الظلال التي خلفها الرجل الاخر في نفسها . ولكنها كانت خائفة ، فقررت الوقوف على الشاطىء يبلل قدميها ماء النهر .. ولكنه لا يغمرها بالطين .

كانت تجيبه :

– لقد فشلت مرة ، ولن اعود الى ذراعي رجل ما يحمل لقب : زوجي !!

مضى ذلك كله الان . دفعة واحدة . كما لو كان ابتسامة عذبة ارتسمت على وجه محبب . ولم يبق لها منه سوى الشريط الذي تستعيد صوره في ذهنها ، من وقت لآخر ، وتجتر الم خيبتها في حبها الحقيقي الاول .

واستردت وجودها ثانية، وسألت الخادم : – فهمت ؟

– فهمت !

*

دقت ساعة الحائط اثنتي عشرة دقة . وتقلبت في سريرها من جهة الى جهة أخرى . عبثا كانت تحاول النوم .

يؤرقها هذا الوجه. تؤرقها العينان الثعلبيتان ، الانف الدقيق بحجم حبة اللوز ، الشفتان الشرهتان . ولا تدري كيف ينبغي لها ان تتصرف .

خيل اليها ، في البدء ، ان الامور ستجري بسهولة . ان « هدى » ستتحطم عبر الفتاة التي تملك حق تقرير مصيرها بين جدران بيتها . كانت تريد تحطيم الصنم الذي انتصب على اشلاء حبها ، وتبديد احساسها بمرارة خيبتها باخضاع الخادم ، بتجسيد هزيمة « هدى » امام عينيها :

– تعالي . اذهبي . لماذا وضعت هذه الوسادة هنا ولم تضعيها هناك؟ ما سبب تأخرك في النوم حتى الساعة ؟ لماذا لا تبدو الأرض نظيفة ؟ ارفعي آثار القرية عنك . كوني لبقة مع الضيوف .

لم تكن تدع الخادم لتستقر على حال . كان من اسعد لحظات يومها حين تراها تكبت آلامها بصمت . كانت تعلم ، بحدسها ، ان ثمة ثورة جامحة تدمر اعماقها ، وان وراء هدوئها الظاهري غضبة حبيسة كالجمر تحت الرماد . وكان يلذ لها ان ترى الى الملامح التي اوقعت « كمال » تحت تأثير وطأتها ، تذوب في الصمت والاستسلام ، وان ترى الى الصنم القائم فوق اشلاء حبها يتشقق وهي تعمل فيه بمطرقتها حتى يتحطم . ولكن الصنم لا يتحطم .

ان ثمة شيئا في داخلها هو الذي بدا يتحطم . اقتنعت بأن « كمال » قد مضى حقا ولن يعود . وان الخادم تحمل صليب غيرها تكفيرا عن خطايا لا علاقة لها بها البتة .

– رمزه ..

استجابت الخادم للصوت المالوف ..

– تبكين ؟

– كلا .

– آثار الدموع باقية في عينيك.

– تذكرت اهلي في القرية .

– هل تحسين بالغربة ؟

– نعم .

– بالتعب ؟

– كلا .

– من سوء المعاملة ؟

– كلا . انني سعيدة معك .

– ما رايك بقضاء بضعة ايام في القرية ؟

– افضل البقاء هنا . لا اريد ان ابرح هذا المكان .

كانت تتوقع ان تنفجر الخادم في وجهها. ان يكبو الصنم عند قدميها. ولو حدث شيء من هذا ، لقبلت بمقدار انتصارها . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . ان « هدى » ما زالت صنما لا يتحطم .. وستبقى كذلك حتى تحس ، هي نفسها ، بالهرم والتعب .

ووضعت يدها على كتف الخادم ، حيث يثقل الصليب عليه :

– كوني عاقلة . وهيا امسحي دموعك .

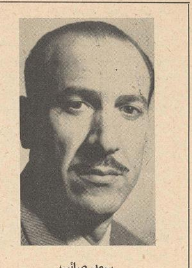
*

– انها امانة بين يديك يا سيدتي.

كما لو كانت جالسة قبالة الاب العجوز الذي اوصاها بابنته، تحركت شفتاها بصدق وحرارة :

– اطمئن يا سيدي ، صدقني سأعاملها كأنها صديقتي .

اسكندر لوقا — **دمشق**



سعد صائب

برنار باديه ... شاعر من افريقيا

بقلم سعد صائب

* * *

«.. طفق رقيق امريكا الشمالية الزنجي المهاجر يتعرض لنقمة مزدوجة : التفرقة العنصرية والرق الشرعي . واليوم بعد انقضاء ثمانين عاما على ازاحة العائق الثاني ، ما يزال الانسان الملون المعتوق ، يرزح كما كان في الماضي تحت ثقل العائق الاول . وليس ثمة ما يقتضي التوسع هنا في سرد الايذاء المروع الذي كان يوجهه تجار الرقيق واصحابه في العالم الغربي ـ اوربيين واميركيين ـ الى الجنس الزنجي . ولكن ما نعني هنا بملاحظته دون تعجب وبعد دراستنا لمثيله الهليني ، هو ان الزنجي الاميركي اذ يجد الموازين ترجح ضده دائما وبشكل ساحق في هذه الدنيا ، ينظر الى عالم اخر ليجد فيه العزاء . ويبدو ان الزنجي يرد على التحدي الغربي الهائل باستجابة دينية لعلها قد تدلل في النهاية ـ ان امكن وقتئذ التطلع الى الوراء ـ على انه يمكن مقارنتها باستجابة الشرقيين لتحدي سادتهم الرومانيين . وفي الواقع لم يجلب الزنجي من افريقيا آية ديانة من اديان اسلافه ، ليأسر قلوب رفاقه المواطنين البيض في اميركا . اذ كان تراثه الاجتماعي البدائي من نسيج رقيق جدا بحيث انه تناثر في الهواء ـ خلا قطع محدودة ـ امام ضغط الحضارة الغربية . وبالاحرى وفد الزنجي الى اميركا عاريا روحانيا ، كما وردها عاريا بدنيا . لكنه طفق يواجه تلك الحالة الطارئة بوساطة تغطية عريه بالملابس التي تركها له سيده . كما دأب الزنجي على تكييف نفسه مع بيئته الاجتماعية الجديدة ، باستكشافه في المسيحية طائفة من المعاني والقيم الطريقة التي جهلتها المسيحية الغربية طويلا ، فانه قد كشف في الاناجيل بفضل اعماله الفكر البسيط والقابل للتأثر ، أن المسيح نبي جاء الى الدنيا لا ليعزز مركز الاقوياء ، ولكن ليعلي من شأن المتواضعين والمستضعفين واذا كان الارقاء السوريون المهاجرون الذين جلبوا المسيحية الى ايطاليا الرومانية ذات مرة ، قد انجزوا معجزة تشييد ديانة جديدة حية قامت مكان ديانة قديمة كانت قد ماتت فعلا ، فلعل المهاجرين الزنوج الارقاء الذين قابلوا المسيحية في اميركا ، ينجزون معجزة اعظم من ذلك ببعثهم الميت الى الحياة . ولعلهم بحدسهم الروحي الشبيه بحدس الاطفال ، وعبقريتهم في التعبير تعبيرا فنيا جميلا عن مشاعرهم الدينية الانفعالية يوفقون في اشعال النار في رماد المسيحية الخامد الذي نقلناه اليهم نحن الغربيين ، الى ان تتأجج النار المقدسة مرة اخرى في قلوبهم . فربما امكن بهذه الطريقة جعل المسيحية تنبض بالحياة مرة ثانية ، وان كان مكتوبا لها ان تكون العقيدة الحية لحضارة تحتضر ..» (أنظر : مختصر دراسة للتاريخ الجزء الاول ص ٢١٥ و ٢١٦ تاليف ارنولد توينبي ترجمة فؤاد محمد شبل) .

* * *

لا اعد الشاعر ذا اصالة وابداع الا حين يشعرني بأنه كوّن ـ في تعبير فني ـ ذاتية خاصة ، اودع فيها كل ما يميّزه عن سواه ، شريطة ان استشف شخصيته في ادائه ، واقف على علاقته بواقعه وبالحياة ، وعمق استجابته لهما . وحسبي ان اقدم هنا شاعرا افريقيا معاصرا ، كان وما برح رمزا حيا لشعراء قارته ، وعى مأساتها بعد ان تمثلها ، وتفاعل بصدق مع ظروفها ، وحدد موقفه حيال هذه الظروف ، فادرك عبث المستعمرين البيض في مقدراتها ، وعاش الجو الموبوء بضبابية الرعب الحضاري ، الذي اشاعه الغرب ، لواد الروح الافريقية ، التي بدات تتململ وتعي ذاتها لتبني مستقبلها ... ولقد استطاع الشاعر بموقفه هذا ، ان يفتح الباب المرصود الذي اوصده الواقع الحياتي البغيض الرهيب ، الذي ابتدعه المستعمر، وان يعد نفسه للنضال من اجل ازالة المأساة التي يعانيها بنو جنسه ، بعد ان جسّدها في ذاته ، اخيلة وصورا حية ، فيها من الزخم والحساسية المفرطة ، بقدر ما فيها من التضحية والفداء ، فصنع من شعره عالما تسكنه ارواح شاردة مضطهدة ، تكاد تضل طريقها مما عانته من جور ، وما لقيته من ظلم وعسف ، بيد انها لم تقنط ولم تيأس . بل راحت تبحث عن نفسها ، وتصبو ظامئة الى العثور عليها ، في تمرد يوشك ان يتعدى حدود الذات ، وفي طاقة تحس انها تنمو مع الزمن ، وتتكامل حضاريا ، مؤمنة بضرورة الحرية ، واثقة بانها تكوّن قواها الكامنة ، وتطلقها من اسارها . ولعل من ابرز ظاهرات الروح الافريقية الجديدة ، ان معنى الحرية عندها ، يختلف عن معناها لدى الاجناس الاخرى ، فهي بدلا من ان تقود الى النزعة الفردية ، نراها على العكس ـ وبخاصة لدى هذا الشاعر ـ تجسّد المسؤولية الاجتماعية والانسانية ، وتؤكد وجودها ، وهي في الوقت ذاته ، تسعى سعيا

حثيثا ، لا هوادة فيه ولا لين ، لخلق كفاح نفسي ، واعداد الصراع من اجل انتصار القيم الانسانية واحلال المساواة، والخلاص من ربقة الظلم والاستغلال ، والعوز والفاقة ، التي حاقت بأفريقيا فمنعت عنها النور .

ان الشاعر الافريقي هنا ، يشعر بمسؤوليته حيال بني جنسه ، ويسعى الى افهام العالم ، الحالة النفسية التي يستشعرها الزنجي المحارب من اجل لونه ...

وليس من شك في انه كان امينا غاية الامانة في تصوير عواطفه ، صادقا كل الصدق في تسجيل احاسيسه ، وليس بدعا ان يجيء شعره مرآة مجلوة للروح الافريقية، بعد ان عاش تجربتها ، واستقطب مشكلة انسانها اللاهبة في علائقه بمستغليه ونابذيه .. وانها لتجربة حية ، تتحدى هذه المشكلة ذاتها ، كيما تؤكد وجود الانسان الافريقي ، وتدل على انتصاره وفرضه وجوده .

ولد برنار باديه عام ١٩١٦ في مدينة « اسيني » على ساحل العاج ، وبعد ان شب ، دخل في غمار السياسة ، واعتقل عام ١٩٤٩ فنظم اثر اعتقاله، شعرا سياسيا ضمنه ديوانا بعنوان « عجلة الحرية » وحين اطلق سراحه نشر عام ١٩٥٠ « افريقيا واقفة » و « اساطير افريقية » عام ١٩٥٤ و « الازار الاسود » عام ١٩٥٥ و « دوران الايام » عام ١٩٥٦ .

كتب عنه الناقد « جاك لوناي » يقول : « مع برنار باديه نمر دون انقطاع من الحيوان الى النبات ، ومن النبات الى الانسان . انه يشق للغة الفرنسية دروبا جديدة ، لعلمه بأن العاب الطبيعة الاشد سرية وخفاء ، تمتزج صميميا بنص الاساطير ذاتها .. ان باديه الافريقي لا يعرف الحدود بين الواقع وما نسميه نحن ما وراء الواقع ، فهما ــ بالنسبة اليه ــ وحدة ، حب وعنف ، ولادة وموت . والحياة حلقة ، رقصة تعاد دون وناء ، مدروسة ، تامة .. ان باديه يجهل اللعب ، اذ ان قرع الطبول عنده ليس لعبا انه القلب الذي يخفق في بلد كنا أبعد ما نكون عن اكتشافه » ...

احمدك يا ربي ...

احمدك يا ربي اذ خلقتني اسود
وجعلت مني
خلاصة جميع الآلام
ووضعت فوق راسي
العالم .
اني لاشبه السانتور
واحمل العالم منذ الفجر الاول .
ان الابيض لون ظرف من الظروف
بيد ان الاسود لون جميع الايام
واني لاحمل العالم منذ المساء الاول .

انا فرح
من شكل راسي
الذي صنع ليحمل العالم
انا راض
من شكل انفي
الذي فرض عليه ان يَعُبَّ رياح العالم كافة
انا سعيد
من شكل ساقيَّ
وهما مستعدتان لان تعبرا جميع مراحل العالم .
احمدك يا ربي اذ خلقتني اسود
وجعلت مني
خلاصة جميع الآلام
ستة وثلاثون نصلا اخترقت فؤادي
ست وثلاثون جمرة احرقت جسدي
وصبغ دمي الثلج فوق مذابح الآلام ، بلونه الاحمر
وصبغ دمي الطبيعة في جميع المشارق ، بلونه الاحمر

* * *

لئن غدوت سعيدا بحمل العالم
فأنا سعيد بذراعيَّ القصيرتين
بذراعيَّ الطويلتين
بشفتيَّ الغليظتين

* * *

احمدك يا ربي اذ خلقتني اسود
ان الابيض لون الظرف النادر
والاسود ، لون جميع الايام
واني احمل العالم منذ فجر الزمن
وان قهقهتي في الليل من العالم ، تخلق النهار
احمدك يا ربي اذ خلقتني اسود

عــودة

اعود وانا انوء تحت عبء فاقتي
في دروب العالم
في زاوية القارات
بعد ان بذرت طاقتي واحلامي ،
اعــود
وانا انوء تحت عبء فاقتي
في قسمة
الكنوز التي ادخرناها معا
وكان نصيبي منها
نصيب المأجور الشريد
اعــود

وانا انوء تحت عبء فاقتي
بعد ان فكّرت في نسمتك الانيسة
ومداعباتك الحنونة .
ولكن كنت اود كأسلافي
بأقدام عارية في الرمل الدافىء
وكفروج ابيض في القربان
ان اغسل اقذاري على عتبة هيكلك
وان آسر من الظلال بهاء الشمس
وان احيطك بلهيب نقيٍ
في غفوة من الزمن .
اعود
وانا انوء تحت عبء فاقتي
كالانسان الشجرة ، شاردا ارتعش
في حين ان الريح لم تهب
وان رمل الحديقة يصر صريرا كيما يغطي
صوت زفراتي .
ايتها الآلهة
لست ابحث في حماك الا عن الراحة
صحبة اخوة لي على الارض المجازة
مرتديا ظلا وصمتا
خالعا عني اوصابي وآلامي
اعود
وانا انوء تحت عبء فاقتي
لاشهد كهنتك عند الفجر
يزيّنون بالانوار هيكلك
وحين يحاورونني بلغة فظة غليظة
عندها
اراني اهرع الى هيكلك ذاته
واقف خاشعا وقفة الحاج الضعيف
مؤديا لك صلاتي
ظانا انني حين انزح عن هذا المكان
سيشفق الناس عليَّ
ويدعونني في أمن وسلام
بيد ان المؤمنين بك اتوا اليَّ من العتبة
والقوا بي ثانية في عزلتي
وعلى دروب القفر
أعود من جديد
كيما ابذر
ابذر
في العالم
انا الشارد الابديّ
صلواتي وآمالي
عسى ان احظى
بنصيب المشرّد
من الكنوز التي ادخرناها معا
اعود
وانا انوء تحت عبء فاقتي
امنحيني دون المؤمنين بك وحدودهم
امنحيني يا افريقيا
صوت الشاعر
كي انشدك على وقع بيان حزين
مجدك وبهاءك ...

كفكفي عبراتك

كفكفي عبراتك يا افريقيا
فسيرجع اليك بنوك
في اعصار وعاصفة الاسفار اللامجدية
على ثبج المياه ، وثرثرة النسمة
على ذهب مشارق الشمس
على ارجوان مغاربها
على ذرى جبال شامخة
على سهول مروية بالنور
سيرجعون اليك
في اعصار وعاصفة الاسفار اللامجدية

* * *

الا كفكفي عبراتك يا افريقيا ؟
فبعد ان نهلنا
من جميع ينابيع
الحظ العاثر
والمجد
تفتحت احاسيسنا
على زهو جمالك
على عبق غاباتك
على سحر امواهك
على صفاء سمائك
على ملامسة شمسك
على فتون خضرتك المتلألئة بالندى

* * *

الا كفكفي عبراتك ، يا افريقيا
فسيرجع اليك يوما بنوك
وقد امتلأت اكفهم بالدمى
وافعمت قلوبهم بالحب
سيرجعون اليك ليكسوك
من احلامهم ، ومن آمالهم ...

دمشق — سعد صائب

سر الجريمة

بقلم ابراهيم السعيد

كان جالسا في مكتبه يفكر . لقد تجمعت عنده افكار عديدة ، فتارة يسلم بواحدة وتارة بأخرى . وهو طيلة الايام التي مرت على الجريمة البشعة لا يفكر الا في الجاني . فلم يذق طعم النوم . ولم يجد رغبة قوية في الطعام كثيرا حتى لكانه اصيب بخطب اهتزت له الجبال .

كانت الباب مغلقة وهو في مكتبه جالس وبيده قلم يخط به على قصاصة من الورق ما يدل على انه في حالة تفكير طويل ، ولكنه لم يهتد لحل المشكلة التي شغلته عن كل شيء . فقد مرت عليه ساعات طويلة وهو جالس في محله لا يبرحه عله يتوصل الى ما ينبئه بالقاتل .

تذكر انه حقق مع كثير من الاشخاص عن سيرة القتيل ولكنه لم يسمع منهم الا عبارات تعني (انه كان حسن السيرة .. وانه كان متدينا لم يؤذ طيلة سني حياته في القرية احدا) . واستعاد كلمات مختار القرية عندما جاءه في منتصف تلك الليلة يصيح : (يا حضرة المأمور .. جريمة .. جريمة) واسترد ايضا كلماته التي واجه بها المختار مستفسرا . وجواب هذا :

— يا حضرة المأمور .. سمعت اطلاقة من جهة جاري (عويد) .. و .. وهرعت صوب البيت عندئذ.. عندئذ يا حضرة المأمور وجدت عويد الطيب قتيلا سابحا في بركة من الدم .

اواه .. كم يؤلمه ان يعيد ما سمعه وشاهده وهو في هذه الحال المضطربة لا يستطيع معرفة القاتل. ما فائدة الذكرى مرة بعد مرة ؟ لقد اصطحب بعض افراد الشرطة في تلك الليلة متوجها صوب بيت عويد. واخترق النسوة المجتمعات وهن يصرخن ويتبادلن التعازي بلطم خدودهن وهناك وقف امام الجسم المنطرح ولما حركه استطاع ان يرى على ظهره الهدف الذي اصابه القاتل . ولم يتأخر فقد امر بحمله. منذ تلك الليلة الرهيبة وهو يفكر . لقد حقق مع عدد من اصحاب القتيل وجيرانه ولكنه لم يهتد الى الحقيقة .

واشعل آخر سيجارة كانت معه ... ثم تذكر — كم يؤلمه ان ينسى — ، تذكر زوجة عويد التي ارسل يطلبها منذ اكثر من نصف الساعة . فقرع الجرس ودخل اليه شرطي ثم سأله عن المراة فأجابه انها تنتظر منذ مدة .

— دعها تدخل .

ودخلت . كانت تسير ببطء ووجهها يعبر عن الم في نفسها . ونظرت الى السقف ثم الى الارض وهتفت كمن اصابها شيء : (عويد راح ؟ .. آخ عويد .. !) ولفت وجهها بعباءتها دلالة الحزن الشديد.

كان المأمور يرمقها باهتمام. وتفوه اخيرا : (تفضلي هنا .. اوه ان الله هو الباقي) ثم بصوت منخفض : « لا حول ولا قوة الا بالله .. » . وقال لها وهي لما تزل تنتحب هازة راسها ذات اليمين وذات الشمال دلالة الالم الذي لا يزيحه ما في الحياة :

— لقد سمعت عن زوجك الطيب. قالوا عنه انه كان انسانا طيب القلب . على كل حال .. البقاء لله وحده . كلنا .. اعني ان الله سيتوفانا . هذه حكمته . ولكن



عويد . كان طيبا ، هذا ما ثبت لي ، ولم تجبه كان يجب ان تشكره على مواساتها ولكنها آثرت الصمت ورفعت راسها ثم قالت بلهجة عجلى وقد جلست جلسة طبيعية ولكن وجهها ظل يعبر عن آلام في صدرها: ارجوك يا حضرة المأمور .. ان تنادي لي بالماء .

ابتسم . ونهض متوجها الى الثلاجة وهو يقول : اوه .. لا داعي لان انادي فالماء في غرفتي متوفر.. وناولها قدحا .

وظل يرمقها متفحصا .. كانت تبدو في العشرين من العمر . جميلة . ورفعت القدح اكثر من مرة تجرع منه ويكاد ان يقع من يديها المرتجفتين ثم جعلته على النضد .

ولفت نظره سكوتها بعدما فاجأته بكلمات عبرت فيها عن فقدانها زوجها المرحوم ، وارجع سبب ذلك الى ما اصابها بمقتل زوجها ومعيلها . الحادث الذي يجعل المرء يخرج عن اطواره بعض الاحيان .

وقال لها فيما هو يجلس :

— انه لشيء مؤسف ان يقتل الطيبون . ماذا يا ترى جناه عويد ؟

وانتظر منها جوابا ولكنها آثرت الصمت فتابع :

لقد تأكد لي، من استجوابي بعض الاشخاص ، انه كان طيبا ، وكم اسفت لوفاته ... حقا . وخاصة وانك في ريعان الشباب . قولي لي هل لك من يعيلك بعد وفاته ؟

وتنحنحت قليلا . وحركت شفتيها المرتجفتين ثم قالت بصوت واطيء :

— ليس لي غير امي .

— وهل باستطاعتها ان تعيلك ؟

ورفعت بصرها اليه .. ووجهها يزداد احتقانا . وقالت في نفسها : (ماذا يريد مني بهذا الحديث ، اي شيء يريده مني ؟) وتفوهت بكلمات واطئة :

— سنعيش بواسطة الارض التي خلفها زوجي ! .. ولكن ذلك يتطلب

رجلا يعمل فيها .

ـ وكيف تزوجت منه ؟ .. لقد كان ، كما علمت يكبرك باكثر من عشرين عاما ؟

وتنحنحت .. حتى سعلت بقوة مما اضطرها لتناول جرعة من الماء . وقالت :

ـ عويد ... ابن خالتي .

ـ هل كان له اب ، وام على قيد الحياة ؟

ـ بل لقد توفيا منذ زمن بعيد .

وعاوده مشهد القتيل .. مضرجا بدمائه ومحل الاطلاقات في ظهره فسألها بصوت فيه نبرات الحزم :

ـ هل كنتما نائمين .. قبل الحادثة ؟ وهل سمعت صوتا .. أو أي شيء اخر ؟

اوه لكم يؤلمها ان تذكر ما حدث في تلك الليلة ، يبدو انه سيزيد آلامها حتى يشفي غليله . كانت تنظر الى الارض وقد التفت بعباءتها . وسمعت صوته قوي النبرات مرة اخرى يقول « هل سمعت شيئا ؟ »

لا مفر من ذكر الحادثة . هذا ما يبدو .. وقالت :

ـ كان نائما . الا انا فلم استطع النوم تلك الليلة . وفجأة سمعت صوتا من المزرعة : « يا عويد .. يا عويد .. اللصوص يسرقونك ؟ » وتكرر الصوت مرتين . فأيقظت زوجي . وقام مسرعا و .. و .. وصمتت .

ـ اكملي .. اكملي . ماذا حدث بعد ذلك ؟ ماذا فعل عويد لدى سماعه الصوت ؟

كانت الدموع تترقرق في عينيها . وشعرت بالمكان يدور بها .. دورانا افقدها رشدها فجرعت ماء من القدح وتابعت بصوت متهدج :

ـ ولما نهض عويد .. قال لي : يا زهرة اين بندقيتي ؟ اللصوص يسرقوني . بالامس وضعتها جنبي . اين اصبحت اذا ؟ ولكنه مضى مسرعا خارج الكوخ وهو يصيح : من هناك .. من هناك ؟ عندئذ .

وصمتت مرة أخرى ،

شعر بسرور يجتاحه ، ان احدا لم يسر مثله الان وقال لها بصوت فيه شيء من القوة :

ـ وبعد ؟ .. وبعد .. يا زهرة ؟

ـ سمعت بعدها اطلاقتين ..

وصوت عويد يقول : آه للمجرمين .

وانخرطت في بكاء طويل .

وصوّب عليها نظره وهو يتأملها ببكائها الحاد . وفجأة تذكر عبارة قالتها قبل قليل :

ـ قلت يا زهرة انك لم تنمي تلك الليلة . هل كنت مريضة اذا ؟

وتلعثمت . وشعرت انها في هذه اللحظة غير طبيعية ، فأمسكت عن البكاء ثم قالت :

ـ لم أكن مريضة .

ـ ولكن .. لم كنت مستيقظة ؟

ـ أ .. أ .. اني ظللت مستيقظة ل .. لم استطع النوم .

ـ حسنا . لقد قال لك انه جعل البندقية بقربه فلم لم يجدها معه عندما استيقظ ؟ هل كان غالبا يفقد بندقيته ؟

ـ كلا .

ـ اين مضت اذا ؟ ؟

وصمتت . وهي تحول نظرها .. هنا .. وهناك ، لكأنها تشعر بالدوار . وظلت كلمته تطرق سمعها :

« أين ... مضت اذا ؟ »

قال لها بصوت عال :

ـ قلي لي يا زهرة .. أين مضت بندقية زوجك . ولم كنت مستيقظة تلك الليلة ؟

وزفر بقوة . انها لا تريد الافصاح عن الحقيقة ولكنها في النهاية ستضطر الى الحقيقة التي لم تجرأ ذكرها الان . ونهض من كرسيه واخذ يجوب الغرفة رواحا ومجيئا . ومضت عليه دقائق وهو يسير .. ويضرب الارض بقوة . وفجأة : تذكر شيئا فاته . فسارع اليها يقول :

ـ منذ متى تزوجته ؟

ـ منذ ثلاث سنوات .

ـ وهل أنجبت له طفلا ؟

وشعرت بالدوار مرة اخرى . انها تعرف بالضبط ، الان ، ماذا يريد منها بهذه الاسئلة وهذا السؤال بالذات اوه لكم يذكرها بأشياء مؤلمة . ما شأنه والاطفال ؟ وقالت في نفسها « وهل لهذا الطفل علاقة بما حدث؟ »

وكرر عليها السؤال مرة اخرى : هل انجبت منه طفلا طيلة الثلاث السنوات يا زهرة ؟

واخيرا اجابت :

ـ لم انجب منه طفلا .

وسارعها يقول :

ـ لم ؟ هل هناك سبب ما ؟

ـ لست ادري .

وعلا وجهه السرور المصطنع وهو يقول :

ـ ساعرضك على الطبيب الشرعي ليتأكد من السبب .

وسمعت قوله حتى لكأن صاعقة شقت احدى سحب السماء فوق راسها . وهتفت بقوة :

ـ لا .. ارجوك .. لا يا حضرة المأمور ..

ايقن عندئذ ان وراء الحديث لسرا . لم خافت كثيرا لدن سماعها اسم الطبيب الشرعي . وقال في ذات نفسه : « لم تخش ؟ .. ولكن الامر يحير حقا . لقد كانت مستيقظة تلك الليلة .. والبندقية ؟ آه . يا للغز . لقد كانت مفقودة . واخيرا هي تخشى اسم الطبيب » .

ـ يا زهرة .. لقد جعلت نفسك الان موضع شك .

ولم تجب . وقال بقوة :

ـ قلي الحقيقة .. لم لم ينجب منك اطفالا ؟

واخفضت بصرها مرة اخرى وهي تمعن في ما قالته له . حقا .. لقد تفوهت بما لا يجب ان تتفوه به . لقد كانت تشعر بالدوار . وظلت على صمتها . وشعر هو انها لا تريد ان تتكلم فلجأ الى ان يقول :

ـ سأودعك السجن يا زهرة .. ريثما تقولي الحقيقة .

انتصار

نظرت الوردة الى اخواتها وهمست :
يا لي من ضعيفة ، عديمة الحيلة ...
أنا واخواتي ...
حين تزمجر الرياح ، انطوي على نفسي ،
واحاول ان اختفي تحت اغصان الاشجار الكثيفة
التي تاويني وتحميني ...
وحين تشب العواصف اطاطيء راسي
واطوي اوراقي ، واسبل تويجاتي
وافتش عمن يدافع عني ويحميني
ليست لي قوة لمجابهة الرياح
ولا لمقاومة الاعاصير ...
انا ضعيفة
والقوى كلها تهزأ من الضعيف وتزدريه
اني ارغب في الحياة
اريد ان ابقى حية ارزق
وان تكن حياتي محاطة بالخوف والقلق
موسومة بالهوان

وتفاعلت الثورة في نفس الوردة ...
لا ... لن اخبيء راسي من الرياح ..
أو اطوي اوراقي خوفا وهلعا ،
من قوى العواصف الثائرة ...

لا ... لن افتش عمن يقيني من المياه الغامرة ...
ساجابه الحياة ..
سانشر اوراقي بلا خوف من الرياح
وارفع راسي في العاصفة ،
سادافع عن وجودي مهما لاقيت من نوائب

وفي المساء هاجت العواصف بشدة وقوة ...
فرفعت الوردة راسها بزهو واباء
واستعدت لتحدي القوى الجامحة ...
... وفي الصباح كانت اوراقها
مهشمة ... متناثرة ...
ولكن العاصفة رغم قوتها وسيطرتها ،
لم تؤثر على جذور الوردة
فبقيت ثابتة في الارض
ولاول مرة ... شعرت الوردة
المنهارة المحطمة ... بلذة عميقة ...
لم تشعر بها من قبل ...
شعرت بلذة الحياة
التي تتهيا للمجالدة والكفاح
وتخرج منتصرة ...

تونس — ناجية ثامر

وشهقت بقوة وهي تردد : « السجن ؟ .. السجن ؟ » ثم بدت وكأنها مجنونة فعلا . ونهضت من محلها وتشبثت به وهي تصيح : لا تودعني السجن .. ارجوك .. سأحدثك .. سأحدثك .

واجلسها وهو يداريها بكلمات طيبة . ثم قال لها :

ـ والان .. حدثيني يا زهرة . لم لم تنجبي منه طفلا . ولم استيقظت تلك الليلة و .. البندقية ؟ ؟

ونظرت اليه بيأس ثم قالت :

ـ لقد كان عويد عنينا .

واجهشت في البكاء مرة اخرى .

ـ كيف ... انت اذا عذراء؟ هه.

ـ أجل .. اجل . لقد تزوجته ، لان امي ارغمتني على ذلك بعدما توفي ابي . لقد اضطررنا لذلك . انه يملك ارضا يزرعها .

ـ وبعد .. وبعد يا زهرة ؟

وما ان انهى المأمور عبارته حتى صاحت زهرة :

ـ أنا التي قتلته . واجهشت في البكاء كرة اخرى .

وران السكون . ظل المأمور صامتا بينما مضت زهرة تتحدث بعد ذلك :

ـ طيلة الثلاث السنوات ظللت محرومة من حقوق الزوجة ... هل علمت الان ؟ افعلوا ما تشاؤون بي فاني قد احببت « رحيم » واتفقنا على التخلص منه والزواج بعد الانتهاء منه .

ـ واين يسكن رحيم يا زهرة ؟

ـ في المزرعة المقابلة لنا . لقد يأست من عويد . فاتفقت أنا ورحيم على الزواج .

كانت زهرة تبكي بكاء مرا .

وكأنها في بكائها هذا تتذكر السنوات الثلاث التي قضتها مع عويد . ثم وبداية تعارفها مع رحيم الشاب الوسيم الذي لا يكبرها الا بسنتين . والايام الجميلة التي قضتها مع الحبيب رحيم . وقالت في نفسها « الموت مستحق علي الان . من اجل ان يبقى رحيم حيا » وصاحت بلا شعور : افعلوا بي كل شيء .. ولكن رحيم ! ... دعوه يعيش .. بالله عليكم دعوه .

وتنحنح المأمور . وقال :

ـ يكفي هذا . يا زهرة .

وارسل بطلب احد افراد الشرطة فأقتيدت « الفتاة » وهي لما تزل تصيح بصوت عال . ثم امر احدهم قائلا : هيا .. بنا الى رحيم .. !

بغداد — ابراهيم السعيد


محمد رجب البيومي

في بلاط معاوية بن ابي سفيان

بقلم محمد رجب البيومي

كان الحر في دمشق شديدا ملتهبا ، وقد جلس معاوية في قصره الانيق متضجرا برما بما يلفحه من شواظ ، ففتح نوافذ المكان من جهاته المختلفة وترك المراوح من فوق رأسه تستدنى النسيم وتستميله فما ظفرت منه بشيء ، حتى اذا بلغ به الضيق مبلغه اذن لجلسائه فتفرقوا تباعا ، وبقي مع امين سره نصر بن ذبيان ، يبادله الراي ويساقطه الحديث .

قال معاوية لصاحبه : لقد فتحت على نفسي بابا من العنت الكريه حين اذنت لهذه الوفود المتتابعة ان تتقاطر على مجلسي كالسيل ثم لا استمع منها غير البغيض الثقيل ...

فابتسم نصر في دهاء وقال لو استشارني الخليفة حفظه الله قبل ان يرسل بمن يأتيه بهؤلاء . لاشرت عليه بغير ما كان ولكنها ارادة امير المؤمنين ، فنظر معاوية الى صاحبه كمن يستطلع خبيئته ثم قال في هدوء :

لقد جمعت انصار علي من اماكنهم النائية لاختبر وفاءهم بعد موته ، ولاسعد نفسي بعض الشيء حين ارى اعداء الامس يتذللون في مجلسي ويتخشعون ، وما كنت احسب ان كبرياءهم العلوية ستلازمهم هنا مع هيبة السلطان ورهبة الجنود .

فقال نصر : وقد احسن امير المؤمنين حين استمال قلوبهم بما منحهم من اعطيات ، فأصبحوا يلهجون بذكره ، ويتحدثون بخيره، وتركوا مآزق الشقاق ومواطن الخلاف .

فتبسم الخليفة في دهاء وقال : اتظن يا نصر انهم سيلهجون بالثناء علي ، لقد خدعتك نفسك يا صاح !! ان حبهم لعلي قد رفرف بين الجوانح والشغاف وقد طاولت اليوم اعرابية جافية ، وارخيت لها العنان كي تقول ما تشاء ثم منحتها ذخيرة ثمينة من المال ، وقلت في تطلع : لو كان علي على قيد الحياة ما منحك درهما واحدا فصاحت في تحد صارخ : نعم ما كان الامام كرم الله وجهه ليعطيني وبرة من مال المسلمين !! افتنتظر شكرا من هؤلاء فاطرق نصر كالمنكر ، ولكن معاوية قال له في ملاطفة ، لا عليك يا نصر ، فسأمنع هؤلاء من زيارتي بعد الان ، وسأحادث من يفد الي من شذاذ الاعراب، فلديهم من الفكاهة والنادرة ما يجلب علي فيضا من السرور والانتشاء !

فقال نصر في تأدب : هداك الله للبر يا امير المؤمنين ، وان على بابك من هؤلاء البداة من يضيق بهم الحصر ، وهم يتلمسون السبيل الى وجهك فلا يجدون ، وقد رأيت قبل دخولي عليك اعرابيا يتوسل ويتزلف ويسألني ان افسح له الطريق اليك ، فما استطعت ان آذن في غير ما املك ، وما اخاله الا منتظرا يترقب ، فان شاء امير المؤمنين ان ادعوه فذاك !

قال معاوية في مرح ظاهر : علي به يا نصر وعسى ان يمتعنا بالشهي الطريف .

خرج نصر يدعو صاحبه ، وما لبث ان عاد بأعرابي نحيل معروق عليه اسمال رثة تدل على فاقة متأصلة وفي وجهه شحوب ينطق بالحرمان واللوعة ، وان طيوف الكآبة لترسم على وجهه صورة حزينة تدعو الى الحدب والاشفاق ، فما ان وقعت عينه على معاوية حتى اكب على البساط لثما وتقبيلا ، ثم نظر الى الخليفة نظرة ضارعة كمن يستأذنه في الحديث :

قال معاوية في هدوء وقور : من انت ايها الرجل ومن اين اقبلت ؟

فقال الاعرابي في نغمة حزينة والهة : انا سعد العذري يا امير المؤمنين وقد طويت اليك الارض من المدينة حافيا غير منتعل وجوعان غير آكل ، وظمآن غير ريان ..

فضحك الخليفة ثم قال وهل خلت مدينة رسول الله من الكرماء والاجواد حتى تضيق بك على رحبها الشاسع فتسرع الى دمشق طاويا تتلمس هبة امير المؤمنين !

فأسرع الاعرابي يقول : لست طالب مال يا سيدي ، ولكني مظلوم ينتصف لنفسه ، وقد نزلت بي شدة ليس لها سواك .

فقال معاوية : ولم لم تتوجه الى مروان بن الحكم حاكم المدينة من قبلي ونائبي عليها بين الناس !! دون ان تعتسف الطريق !

فزفر سعد زفرة حارة ثم قال وماذا اصنع اذا كان

مروان بن الحكم غريمي العنيف .

فنظر معاوية الى الرجل كالساخر وقال مروان بن الحكم شيخ بني امية الحصيف وداهية العرب غريمك انت ايها المسكين !!

فطأطأ الرجل راسه الى الارض وقال في كآبة : هذا ما كان !

فالتفت معاوية الى نصر وقال امر عجيب ! فابتسم نصر في لباقة وقال لقد صحت فراسة امير المؤمنين فهؤلاء الاعراب يقدمون علينا دائما بالطريف العجيب !!

ثم نظر الخليفة نظرة فاحصة الى الاعرابي ، وقال له ابسط ظلامتك دون تزيد او افتراء ، وسأفصل بينكما بالحق الصريح !

قال الاعرابي ، لقد اجبرني مروان على ان اطلق زوجتي سعاد وزاد فسجنني في محبسه حتى انقضت ايام العدة ، ثم اقترن بها كرها دون تودد ، وتركني هائما تائها ابحث عن صبري فلا اجد ، والتمس عقلي فلا استطيع !!

فنظر الخليفة الى نصر ... وكأنه يطلب ان يظهر رايه فيما سمع ، فقال نصر : ان اذن امير المؤمنين بابتعاد الاعرابي قليلا عن مجلسنا الان كاشفته الحديث ، فصفق معاوية بيديه فدخل حاجبه الاصهب فأمره ان يحتجز سعدا لديه الى حين ثم أقبل على جليسه يستمع منه ما يقول !

قال نصر بن ذبيان : لقد كان اختيار مدينة رسول الله لامارة مروان بن الحكم وضعا للشيء في غير موضعه ، فالرجل — في رايي — قاس ظالم لا يلتزم حدا رادعا في تنفيذ رغبته وقد كانت المدينة مسرح رسول الله وخلفائه من بعده ، ساروا في حكمها سير العدالة والرشاد فعرف اهلوها عنهم سلامة الراي وعدالة الحق ثم فوجئوا بمروان فراوا ما لا يعهدون من شطط المغالاة ونزق الهوى ، فضجوا وبرموا وما اظن سعدا هذا الا محقا فيما يقول !

فنظر معاوية الى نصر واجاب في هدوء لقد كان اختيار مدينة رسول الله لامارة مروان وضعا للشيء في موضعه من وجهة نظري الخاصة وليست وضعا للشيء في غير موضعه كما تظن ، فانا اعلم ان مروان طموح يشرئب الى الخلافة ويتمنى من اعماقه ان ترتفع على جنازتي النوائح في اقرب وقت يكون ، فيسمو الى مآربه الخطير ، وقد اخترت له المدينة بالذات ليأتي بها من شروره ما يدفع اصحابها الى الشكاية والتنديد ، واهل المدينة فيما ارى قوم غير اباة لا يسكتون على ضيم او يصبرون على باطل، وفيهم اهل الراي والمشورة من نجباء قريش فاذا وصموا مروان ببوائقه فهيهات ان يسير له ذكر ، او يتمهد طريق لمبتغاه !! وقد تحقق ما املت فلم يحمده حامد ، ولم يمض بتقديره حديث ...

قال نصر حيا الله امير المؤمنين وبيّاه ، لقد خبر النفوس المستكنة فكشف عنها سجوف الرياء والمصانعة كما درس مدن الخلافة مدينة مدينة فرمى كل ناحية بمن يوافقها من اولياء حكمه واصحاب سلطانه !! وما اراى في حادثة سعد الا قنطرة للتشهير بداهية ماكر جاوز الحد وجانب القصد ، فان رأى امير المؤمنين ان يناقش الاعرابي مناقشة فاحصة ثم يصدر حكمه بما يشتهي كان في ذلك صلاح امره ، وطمأنة وادعة لمن يستجير بعدله من بأس الباطشين فصفق معاوية بيده ثانية فدخل الحاجب مطأطأ محييا فطلب سعدا بايماءة موجزة وسرعان ما اقبل ، وقد ذهب عنه الروع ! واحس ببرد الراحة يسري قليلا الى نفسه فملك زمام قوله .. وشافه الخليفة في ثبات واتزان .

قال الخليفة كيف تزوجت سعاد يا سعد !!

فقال الاعرابي حفظ الله امير المؤمنين انها ابنة عمي ، وقد كنا صغيرين نخرج الى البادية فنرعى الغنم في طهارة بريئة ، فتمضي السائمة متلمسة نبات الارض كما تشاء ونظل معا نتجاذب حلو الحديث ومعسول الكلام طيلة اليوم حتى اذا استأذنت الشمس للرواح نهضنا معا فجمعنا ما تفرق من الحيوان وكررنا راجعين الى خيامنا القريبة ، وفي نفسينا شوق مبرح الى ان تشرق شمس الغد فنستأنف ما كنا فيه من سمر وامتاع ، وما زلنا كذلك حتى سلمنا الصبا الغض الى عنفوان الشباب ، فتقدمت الى عمي فطلبت يد ابنته ، فاشترط صداقا كبيرا اعانني الله على تحصيله وتم اللقاء !!

قال معاوية الم يكن بينكما حب تداوله الناس ؟!

فقال الاعرابي كان بيننا حب صامت جهدنا كل الجهد في اخفائه واكتمانه لما نعلم من ان ذيوع الشوق في البادية يحول دون الزواج !! وكانت صاحبتي عاقلة متزنة فلم تظهر لاهلها ما يكشف عن ميل او ينم عن كلمة ، وكنت كما كانت اتكلف معارضتها امام الناس ، واطوى من دونها من اللذات في اسهاب مموه حتى غفلت الاعين المتيقظة ، وسكن الهاجس النمام .. !!

فضحك الخليفة وقال في ملاطفة حذقتما فن السياسة في البادية يا رعاة الاغنام !!

فقال نصر في تودد ظاهر انها فطنة الاعراب يا امير المؤمنين !!

فنظر معاوية كمن يفكر في مشكل دقيق ثم قال : وكيف وقعت زوجتك في شرك مروان !!

فتأوه سعد تأوهة حارة ثم قال ودموعه توشك ان تنحدر ، لقد مرت بنا الايام الاولى حلوة صافية ، فكنت احضر لزوجتي ما تريد من الطعام واللباس والزينة ، وكنت لفرط صبابتي بها لا امنع عنها شيئا مما تود ، فلجأت الى الاستدانة والاسراف حتى عصفت مآربها بما جمعت وادخرت ، وعرضت ناقتي واغنامي للبيع عن سماحة واغتباط ... ثم زارنا والدها ذات مساء فلم ير

ما يعهد من اسباب الرغد وافانين الرفاهية وادرك ان الفقر قد اطبق علينا بقبضته العسيرة ، فأرعد وازبد ، واشار بأن اعجل بتطليقها لتجد الكفء الموسر من الازواج فأغلظت له القول ، وجابهته بما اجبرني عليه شططه البالغ في مغايظة ولجاج ... فرفع الامر الى مروان !! وحلت ساعة المحاكمة فراى الحاكم من سعاد بدرا يتألق بالجمال ويشرق بالفتنة والروعة فملكت عليه عقله ، ومال بوالدها ناحية فعرض عليه ان يتزوجها بعد ان يكرهني على تطليقها وبسط له يديه بما اخذ عينه من الدر والجوهر فرحب عمي بمصاهرة الامير ... وفوجئت بمن ينهال علي بالسياط المحرقة فما انقطع شواظها اللاهب عن جسدي الناحل حتى نطقت باليمين !! ثم سحبت على وجهي الى ظلمات المحبس اتأوه واتوجع .. ولا ادري متى يكون الخلاص ، ومرت شهور خمسة خلتها اعواما ثقيلة بطيئة حتى اذا انقضت عدة الزوجة المكرهة على امرها زفت الى الامير في بيته . واطلق سراحي لاهيم في الطريق على فزع ووحشة ثم آتي امير المؤمنين فأحتكم الى مروءته واطمع في عدله الاكيد !!

قال معاوية — وقد هز راسه متأملا — ستمكث لدينا اياما حتى تذهب الرسل وتأتي بما يكشف الحق الصريح !

فاكب سعد على البساط يقبله ويمرغ في ديباجه الناعم جبينه وخديه ثم نهض الى منازل الوفادة ينتظر ما تتمخض عنه الايام في خطبه العنيف .

اما معاوية فقد خلا بصاحبه يستشيره ، وقد ادرك نصر بحصافته ما يتردد بنفس الخليفة نحو مروان ، فرأى ان يشير بما يقع من نفسه موقع الارتياح ، وقد اظهر جدا حازما حين بدا يقول .. ان اغتصاب زوجة حسناء من رجلها الوفي جريمة نكراء ، ولو علم مروان ان المأساة قد انتهت الى امير المؤمنين ثم سحب عليها ذيل الاغضاء لتمادى في مظالمه ، وقد يأتي من المآثم ما لا يحتمل فتثور عليه النفوس ثورة ينتقل صخبها الى مقام امير المؤمنين . فهو الذي اقامه واليا يأمر وينهي كما يشاء !! فلا بد من ردعه والتشهير به جزاء ما اسلفت يداه ... ثم انك يا امير المؤمنين لن تنسى موقفه من مبايعة نجلك يزيد فقد شق العصا وجاهر بالمخالفة ، ولولا سعة صدرك ما امعن في اللجاج دون استحياء !!

فرد معاوية في دهاء : وهل كنت تريدني ان ابادر بعزله حين اظهر الخلاف في مسألة يزيد !! فوالله لو تم ذلك لانحاز اليه من امية فريق كبير ، فأتعرض للعصيان في جبهتين متباعدتين ، جبهة داخلية يشغب فيها ذوو الرحم من اولى القرابة ، وجبهة خارجية لا ازال اكابد من صعابها ما يرهق ويبيد !! ولعل فريقا من هؤلاء ينضمون الى اولئك فيتزايد الشر ويعم البلاد ، لقد انتظرت على مضض ولم اشأ ان اعقب على ما قال بل بعثت اليه من التحف والكنوز ما اسكت لسانه الى حين ! وها هي ذي فرصة سانحة لا بد من اهتبالها قبل ان تفوت فكيف السبيل ؟

قال نصر بن ذبيان : سأرحل من الغد الى المدينة يا امير المؤمنين ، ولن اكلمه في خلوة ساكنة بل سأنتظر صلاة العشاء حتى اذا اقبل مع القوم وامتلأ المسجد بالراكع والساجد والقائم والقاعد اعلنت اليه امر امير المؤمنين في طلاق سعاد فانبه بذلك من غفل عن جرمه الشنيع ثم لا اغادر المدينة حتى اصحبها اليك وقد اخزيته في ملئه فيستكين !!

فربت الخليفة برفق على كتف صاحبه .. واوما اليه ايماءة الموافق المقدر ، واذن له في السير .

وشهدت المدينة بعد ايام نصر بن ذبيان نديم معاوية وامين سره يذهب الى مسجد رسول الله فيصلي ركعتين خفيفتين بعد العصر ثم يطيل المكث بالمسجد فلا يريمه الى قصر مروان كما اعتاد رسل دمشق ان يفعلوا في كل سفارة تتاح !! ويبلغ النبأ مسامع مروان فيتهيأ لاستقبال صاحبه ، ويفكر فيما عسى ان يكون قد اتى به من المهام فيتوافد على ذهنه عشرات الامور غير مسألة سعاد ، ثم يدير في نفسه اجابات مختلفة عن اسئلة تتعلق ببيعة يزيد ، واحتيال معاوية وانقسام بني امية ، ليكون على استعداد تام للاجابة اذا ناقشه نصر بمسجد الرسول على رءوس الاشهاد حتى اذن المغرب فنهض الوالي كما يفعل دائما الى المسجد الجامع وراى نصرا يجلس بجوار المنبر فاشاح عنه متجاهلا مكانه وادى الفريضة مع المصلين ومكث في رهط من صحابه ينتظر صلاة العشاء !! وقد فطن نصر الى وجود صاحبه فعلم ان المسرح قد هيء للتمثيل الناجح اذا اجتمع النظارة المرتجون وتطلعت الاسماع الى ما سيقال ، فتوجه الى الوالي مسلما في تحفظ واتزان ولم يشأ مروان ان يزيد على غير الاجابة الرسمية فرد السلام بصيغته المعهودة ، وتلاحظ الرجلان في صمت ، وقد شخصت الابصار وامتدت الاعناق مشرئبة الى مجهول لذيذ تتوقعه ولا تبين ملامحه في وضوح !!

وهنا يقول نصر : (يا مروان) :

لقد ساء امير المؤمنين حفظه الله ان تقدم على الزواج من امراة لا تريدك فتجبر زوجها اجبارا على الطلاق وترميه في غياهب السجن حتى تنقضي ايام العدة .. ثم تقذف به ليهيم تائها شاردا حتى يدركه الخليفة بعدله الرحيم ، وها هو ذا يرسلني اليك لتطلق الزوجة المغصوبة دون امهال على ان اسير بها فورا اليه فترد الى كفئها الكريم !!

فوجيء مروان بالخبر !! فبحث عن كلمات تسعفه في تبرير موقفه فأدركته الحيرة المذهلة وتصبب جبينه عرقا ينطق بالخزي والخجل ، وقد اثار ذلك بعض من يبغضونه من اهل المدينة ، فتجمعوا حول نصر يسرفون في ايضاح ما يرتكبه الوالي من مؤاخذات !! ونصر يفسح لهم من اهتمامه واعتنائه معلنا ان معاوية لا يرضى ان يظلم انسان في خلافته وانه يحاسب الولاة — ادنياء وبعداء — جميعا

على ما يقترفون من مغارم بين الناس وسينقل اليه ما سمع دون تزيد او مجاملة !! ثم توجه في نشوة الظافر الى مروان واعلن انه مسافر مع سعاد في الصباح ويريد ان يسمع يمين الطلاق . ورأى الوالي ان دويّ المسجد كاد ان يخرسه على وهن في السمع وتقدم في السن : وانه ان ابطأ قليلا لا يأمن ان يقذفه شاتمه ببعض ما يؤذيه لا سيما وقد ادرك جنده الخاص هوانه على الخليفة فليسوا بطائعيه !! ان امرهم بارهاب الحاضرين ، فلفظ اليمين في ألم صامت وحزن دفين !

واشرق الصباح فحملت سعاد في هودج انيق الى دمشق !! وجدّ نصر في مسيره حتى قدم الى الخليفة في بضعة ايام !! وقد نقل اليه صورة امينة عما قام به في مسجد رسول الله، فاطمأن معاوية اذ تأكد ان مروان ليس من معشره في عزة تمنع او بأس يخيف ... وصمّم على ان يجاهر ببيعة يزيد دون اكتراث ، فقد اوصدت الجبهة الداخلية الى الابد بانخذال ابن الحكم وكساده ، وبقيت جبهة واحدة تتطلب الصبر الطويل ...

ومثلت سعاد امام الخليفة فماذا راى ؟ لقد شاهد حسنا اخاذا يكتسح ويروع ، فعذر مروان ـ غريمه ـ اذ وقع في سحرها الخلاب ثم اخذ يتحسس قلبه في صدره فلمس طائرا مغلولا يضرب بجناحيه على غير استقرار ... فأطال اليها النظر ثم صفق فأتى الحاجب لينقلها الى الغرفة المجاورة كما امر معاوية وكأن نصرا قد لاحظ ما طرا عليه من انفعال فأطرق برأسه اطراقة قطعها عليه الخليفة حين قال :

ومن يدري لعلها كانت تحب مروان وتبغض سعدا فكيف نجبرها على زوج تأباه !!

فقال نصر سلها يا امير المؤمنين لتفصح عما تكن من صبوات !!

فابتسم معاوية في خبث وقال : لقد طلقها مروان ، فما من سبيل اليه بعد الان !! فهل لك في سؤال حاسم نكشف به عاطفتها دون حجاب !!

فقال نصر : لقد لمست شواهد الفرحة على وجهها حين اخبرتها بالمدينة بأن سعدا ينتظرها بدمشق !! فأبدت من البشاشة ما يهتك كل نقاب !!

قال معاوية في عناد واذا خيرتها بين سعد ومروان وامير المؤمنين فالى اي ناحية تميل !!

فتلعثم نصر قليلا غير انه سيطر على ثباته فجاة فقال هي امامك يا مولاي فسلها كما تشاء!! وكانت لحظة محرجة حين وقفت سعاد مرة ثانية امام الخليفة لتسمع هذا السؤال من شفتي امير المؤمنين :

ايه يا سعاد ايهم احب اليك امير المؤمنين في عزه وشرفه ونعمته ام مروان في عسفه وجوره ؟ ام سعد في خشونة عيشه وسوء حاله ؟

فنظرت الفتاة نظرة اخاذة ذات معنى كبير ورفعت جبينها المتلألىء الى امير المؤمنين ثم قالت في تؤدة وثبات:

مولاي لن اخذل سعدا وقد شربت معه من قبل كؤوس الصفاء فلأذق معه الان ضروب البلاء .. سعد مني وانا من سعد !!

دهش معاوية واكبر وفاءها النادر فمنحها ثروة ثمينة تكف عنها بؤس الايام ودعا بابن عمها المشوق فرجاه ان تمكث في مقاصير حرمه بدمشق حتى تنقضي العدة ، وبعدها تزف اليه بعقد جديد !! فرقص قلب الاعرابي في صدره ، وانكب على قدم الخليفة يلثمها في غبطة واهتياج !! وخرجت الفتاة الى حيث تنتظر يومها القريب ، ومن وراءها سعد يستحث الليالي ويستبطىء الايام !

قال معاوية لنصر متراجعا ـ وقد انفرد به ـ اتراني كنت جادا حين طرحت عليها هذا السؤال ؟

فقال نصر متخابثا : معاذ الله يا امير المؤمنين ! لقد كنت تستطلع حقيقة شعورها نحو مروان !!

الفيوم ـ ج٠ع٠م٠ — محمد رجب البيومي

الارض ... رخوة

*

حرارة النهار .. تتدفق في قلبي شلالا من نار
يزعج سكينتي الروحية
يكدر غفو طهارتي البيضاء ..
احس طبولا همجية تدق في قلبي
وانغاما افريقية صاخبة
تغرق روحي في طوفان من نار ...
وصدى أصوات الطبول
يقرع راسي باغصان اشجار استوائية ...
الارض رخوة تحت قدمي
طيور بيضاء ، وزرقاء ، ورمادية
عبرت ارضي
متجهة نحو الشواطىء الخمرية والمراعي البعيدة ...
الارض رخوة ...
وقلبي ،
عبر مع الطيور البيضاء والزرقاء والرمادية
ارضي الرخوة
متجها نحو بلاد الاغنية الذهبية
والغمام الذي يلون طيور البجع برقة الاكاسيا ...

دمشق — سليمان عواد

اربع قصائد



الفقيد عبد القادر الناصري

***

الشاعر عبد القادر الناصري ، من شعراء العراق المعروفين الذين اسهموا في « الاديب » منذ سنوات عديدة بفيض انتاجهم الادبي . ويطالع القراء على هاتين الصفحتين اربع قصائد جديدة كان الفقيد العزيز قد بعث بها الينا قبل ان يغيب عنا وجهه وتختطفه يد المنون اثر حادث التسمم المؤسف الذي وقع له في عيد الاضحى ..

الفتنة الكبرى

ظمآن ، لا القدح المسجور يرويه   يا للمحب لقد ضاعت امانيه
يهيم بالحلم المسحور يرقبه   لعل بارقة منه تناجيه
حتى اذا ما الكرى وافاه ارّقه   طيف يباعده آنا ويدنيه
كم من سهام له في القلب صائبة   دماؤها شفق رقت حواشيه
كم قبّل السهم من شوق لرائشه   كأنما نصله المخضوب آسيه
يا ملهمي غزلا تصبو لرقته   حور الجنان اما اصباك شاجيه
قنعت منك باوهام واخيلة   وبالرؤى من تعلات ، وتمويه

قلب تعمد ان يهوى معذبة   جارت وما جورها الا لتسبيه
يا ضيعة الحب كم اشقته فاتنة   حسناء لولا الطلا كانت توافيه
اكل « خالدة » في الحسن غادرة   يا ويح قلبي كم عذراء تدميه
فتنت والفتنة الكبرى بمقلتها   أسحر « هاروت » في العينين تخفيه
عجبت للمقلة الحوراء كم سفكت   دم المحب وما عادت تداويه
الله في دمي المطلول عن عمد   وان ابيت : فدى عينيك قانيه

الشوكة الملعونة

تجاورت في الروابي الخضر عوسجة   ووردة بئس جار السوء من جار
فتاهت الوردة النشوى بنافحة   من العبير سرت في فجر اذار
ونفحة الورد زهو .. ان يدل على   جمالها فهو من ابداع جبّار
فقالت الشوكة الحمقاء غاضبة :   افسدت بالزهو تحناني وايثاري
وانت منذ نجمنا في الربى عرضا   نجيّتي ، وهوى نفسي ، واوطاري
فرجّعت فتنة الدنيا وزهوتها   على لسان شذاها الفاغم الساري
يا شوكة من هجير الحقد يابسة   لا تحسدي الزهر فيما خصه الباري
لو انبت الشوك ازهارا تزان بها   مثلي مجالس عشاقي وسمّاري
هتفت والفرحة الكبرى على شفتي :   اليك ـ بنت الرمال السمر ـ اعذاري
لكنما انت والنيران لافحة   وقودها ، وانا للمعصم العاري

صفحة ذكرى

كان الشاعر السوري عدنان مردم بك قد اهدى الى صديقه الشاعر العراقي ديوانه « صفحة ذكرى » فنظم الشاعر الناصري ابياته التالية اعجابا بصاحب الديوان وتقديرا لادبه الجم .

أيها الشاعر المفرد كالطير ... على ايكه الوريف الوريق
أي لحن عزفته فشجاني ... منه جرس منغم موسيقي
مار لطفا ورقة كخيوط ... نسجتها ذكاء عند الشروق
او كذوب السلاف حين اديرت ... ليلة الشرب من فم الابريق
ما بيمناك ؟ ريشة تخلق الفن رسوما ؟ ام مرقم اغريقي
ابدا تبدع الغرائب في الشعر وتأتي بكل معنى دقيق
انت ـ في وصفك الطبيعة ـ اذار اذا مر ركبه في الطريق
واذا رمت ان تشبب بالحسن تخيرت كل لفظ انيق
تنظم الحسن والمفاتن للغيد عقودا من لؤلؤ وعقيق
رحم « البحتري » ما كان اسمى منك في وصف شائق ومشوق
حينما قال والفؤاد جريح ... من هوى كل فاتن معشوق
وقفة في العقيق نطرح ثقلا ... من دموعي بوقفة في العقيق
فتقبل ـ عدنان ـ مني التحايا ... كتحايا الموموق للمومـوق
ستظل الحياة ـ صفحة ذكرى ـ ... من اخائي ومن ودادي العميق



سلطانة الشجر

للاستاذ توفيق الفكيكي المحامي كتاب قيد الطبع بعنوان « ادب النخيل » يبحث عما قيل في النخل نثرا وشعرا من أقدم الازمنة حتى الان وهذه القطعة الشعرية احدى قصائد ذلك الكتاب .

يا زينة الحقل ، يا سلطانة الشجر ... تيهي باكليلك المخضوضر النضر
ونافسي بقوام منك معتدل ... كالبان كل رشيق القد منهصر
احب انت لقلب ذاب اكثره ... من كل وارفة عدت من الشجر
تلك اليواقيت في الاعذاق قانية ... دم المحبين لا ضرب من الثمر
اذ هن في الضفة الخضراء أشرعة ... وهن في القفر عش الطائر الحذر
وهن فاكهة صيفا .. ، وخابية ... في كل آن ومجلى السمع والبصر
ان دارت الكأس او حثت مشعشعة ... بين الندامى على ترنيمة الوتر
وناولتها ـ كزهر الروض ـ فاتنة ... حوراء موسومة بالدل والخفر
ذكرت فيها عذارى النخل دانية ... قطوفها ، والجنى في كف معتصر
من كل عاقدة تاجا ، وناشرة ... مظلة ، وعليها اهبة السفر
بنات « فرعون » كم جنت بمنظرها ... والشمس جانحة للغرب من خور
والليل فوق ضفاف النيل راهبة ... تزجي تسابيحها العذراء للقمر
وفي الفرات صبايا الريف كم عقدت ... في الليل مجلسها للهو والسمر
وحولها النخل حراس واخبية ... واعين ترقب العشاق في حذر
اذا الفرات جرت ماسا مساربه ... قالت له النخلة العذراء ما ضرري
أنت الفرات ، واني النخل اشرفه ... ما اورد المصطفى المختار من خبري
تبارك الريف كم في الريف من متع ... للسامرين ، وكم في الريف من وطر

بغداد ... عبد القادر الناصري

ـ الم يحن الوقت لتنام سيدتي ؟

ـ لا ... ليس الان ... دعيني وحدي يا خضرة ...

حقا لقد بدأ السواد يزحف نحو هذه الحجرة .. سواد الليل .. سواد الاثاث .. سواد الملبس .

لقد ماتت أم زوجها وها هي الان تبلبلها الافكار .. تغمر نفسها المشاعر المتضاربة الصاخبة .. ترى ما الذي يعتريها بالضبط ؟

ان خضرة المربية العجوز تجيب على ذلك وهي جالسة في المطبخ مع بعض النسوة المعزيات وتقول :

ـ مسكينة ست سميحة كانت تعدها اكثر من أم .. هيه .. دنيا .. الا انني لاحظت عليها في الايام الاخيرة تبدلا عجيبا .

وردت صاحبتها متسائلة : كيف ؟

ـ لا استطيع ان احدد بالضبط ما الذي ألم بها سوى انها تغيرت .. تغيرت جدا وبشكل ملحوظ .

ـ لم افهم شيئا ..

ـ والله ولا انا ..

وسميحة بهمسات قليلة تستطيع ان تكشف اللثام عن الكثير .. ولكن لماذا ؟ وماذا يهمها بعد الان .. انها تسترجع ما فات بتؤدة .. نعم ستمسك اول الخيط .. واول الخيط انها لم تكن قد اتمت الثالث عشر من عمرها ! عندما جاءتها (فردوس هانم) لتخطبها لابنها اسماعيل من خالتها فقد راح أبوها وامها في حادث سيارة ثم كفلتها خالتها ..

وطبيعي ان تسأل الخالة الخاطبة وهي حائرة :

ـ ان ابنتنا ما زالت صغيرة على الزواج .

وتبتسم فردوس هانم ابتسامتها الناعمة التي ترسم على وجهها انحناءة هلالية اشتهرت بها :

ـ يا اختي الحبيبة اللطيفة انني اريدها بالذات لهذا السبب .. حتى اربيها على طباعي .

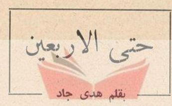
وتجيب الخالة الطيبة :

ـ لكنها لم تبلغ بعد السن القانونية ..

ـ أنتم في القرية والمسألة بسيطة .. ثم لا تنسي انها تتمتع بقوام فارع يخدع الناظرين .

واخذتا تتهامسان في ركن الحجرة وتشاهد سميحة الراسين يلتحمان مرة وينفرجان مرات واستطاعت ان تلتقط بعض الكلمات (هذه من خالتها) دعيني أسأل اهل الراي .. (وهذه من فردوس هانم) عيب يا ست خديجة ان لي قلبا ككل الامهات ..

ولم تفهم شيئا .. لم تفهم شيئا لسنين طويلة .. طويلة جدا .. انها لا تستطيع ان تسترسل في هذه



الشرائط المزعجة من الذكريات ..

واخذت سميحة تروح وتجيء وتروح وتجيء ونادت بصوت عال أزعجها هي نفسها قبل ان يزعج الاخرين :

ـ يا خضرة ناوليني بعض الاقراص المنومة من جانب سريري ..

ثم تصرخ ثانية :

ـ لماذا ماتت ؟ لماذا ماتت ؟

وتقول خضرة همسا لصديقاتها :

ـ الم اقل لكن ؟ ان الصدمة تكاد تودي بعقلها ..

ونامت سميحة تلك الليلة .. اول ليلة تفارق فيها حماتها .. !

وثاني يوم .. هاهم المعزون يلتفون حولها احيانا .. واحيانا حول الزوج والابن المتاع .. وتلقي هي



نظرة طويلة الى زوجها .. أهو زوجها حقا ؟ من هذا الرجل؟ وتأملته مليا .

ها هي الذكريات اللعينة تعتريها مرة اخرى .. وتمسك الثلث الاول من الخيط ... جاءت فردوس هانم اليهم في القرية مع هذا الرجل الطويل الداكن السمرة والذي قالت انه ابنها ووحيدها .. ولم يتكلم هذا الرجل في هذا اليوم اطلاقا .. لم تسمع صوته .. لا .. يجب ان تكون امينة في السرد .. انه لم يتكلم حقيقة ، لكنه ضحك ضحكة ازعجتها هي وقطتها وقد لاذتا في الركن واقتربت منها فردوس هانم مربتة على كتفها .. الم تألفينا بعد يا سميحة يا حلوة ؟

وتضحك سميحة الان في مرارة وهي تذكر ما تفوهت به حينذاك .

ـ ان ابنك يخيفني .. انني لا أريده ..

وتقاطعها فردوس هانم بصوتها الموسيقي الناعم : انك في القرية يا حبيبتي ولم تألفي الرجال ان ابني احسنهم خلقا وصورة ! .. دعي هذه القطة جانبا وتعالي ..

وكالمسحورة ذهبت الى فردوس هانم واقتربت هذه منها وقبلتها قبلة لم تنس طعمها ابدا .. كانت كالعلقم وبلا شعور مسحت مكان القبلة بظهر كفها قائلة : لم اتعود الا قبلة خالتي الحبيبة ..

ثم تلتفت بكليتها الى خالتها قائلة: الا تأتين معي يا خالتي ؟ لا تقولي لا . هل نسيت انني ابنتك وحبيبتك .. و .. وقطتي وعش الحمام وعم سعد صديقنا والست حلاوتهم وابنتها زهرة صديقتي .. لا اريد ان افارقكم لا اريد .. هذه المراة اخافها .. اخافها .. وهذا الرجل اكرهه .. اكرهه ..

وافاقت سميحة من تأملاتها واذا بحجرة المعزين تكاد تخلو الا .. الا منهما زوجها وهي .. ورفعت سميحة رأسها ونادت بصوت هادىء رصين:

اسماعيل .

والتفت هو اليها قائلا : نعم .

اريد ان اسهر معك الليلة ... وزحف جانب وجهه الايمن الكئيب رويدا رويدا .. حتى كاد يصل الى اذنه .. يا جماله .. انه يبتسم !

وسألته : كم سنة عشناها معا ؟

وجاءها صوته المتميع : حوالي العشر .. انها تعدو اليس كذلك ؟

– نعم تعدو .. الى الخلف ..!

اريد ان اقص عليك ما بيننا في حوالي نصف ساعة فهل تسمعني جيدا ؟

وصمتت العينان الباهتتان والوجه البليد .. قالت سميحة وكأنهاتحدث نفسها ..

– لا انسى ليلة عقد القران لقد احسست بأن هناك شيئا ثقيلا ثقيلا جدا يضغط على راسي ويسلمني الى آلام مروعة ثم يزحف بلا رحمة الى انفاسي فيكاد يخنقها ويستقر اخيرا في قلبي .. وبعدها سمعت كلمة مبروك .. مبروك على ماذا ؟

هل تذكر ليلتنا الاولى ؟ ثم رفعت يدها قائلة : انني لا اسألك لتجيب بل اسألك لاذكرك .. اسمع .. مرات قليلة ذهبت مع خالتي الى العاصمة لنشاهد حديقة الحيوان وهي بالنسبة لاهل الريف عيد ..! وفي احد هذه الاعياد خفت جدا من الخرتيت .. اما في ليلة زفافي فقد كان الخرتيت بالنسبة لك عصفورا رقيقا .. الخرتيت بعث في رهبة .. اما انت فقد بعثت في اشمئزازا .. كنت مخمورا محمر العينين تتكلم بربع لسان .. وظهرت بعض حقيقتك .. ثقل ظل مع غباوة وجهل . والذي زاد الطين بلة هو (نظارتك) . لم اعلم وقتها ان خفة الظل طبيعة اكسبها الله لنا كلون البشرة وطول القامة لكنك انكرت الله وادعيت ما ليس لك فخرجت لي في صورة مشوهة ممسوخة منفرة تماما كالذي يصاب بغصة في حلقه فبدل ان يزيلها بقطرة ماء يلحقها بما يسدها فيزيد تفاقمها

هذه الليلة كانت الفصل الاول ... وقد تعودنا الاستراحات بين الفصول اما انت فقد اردتها عرضا مستمرا .. عقليتك .. يا صاحبي وهواياتك .. احدى هواياتك التردد على المطاعم وبيوت المعارف (ولا اقول الاصدقاء) لتتذوق احدث الاطباق هل تذكر في مرة عندما زرنا (فلانا وزوجه) واذا بك تسرق شطائر اطفالهما .. خفة ظل اليس كذلك ؟ (ورفعت يدها مرة ثانية) قلت لك انني لا اريد رايك بل ذاكرتك والان .. دعني اكمل حديثي .. انك لص .. ولص غبي يخطف كل ما يصادفه ولذا (وهذا هو اعتقادي) لم تفلح في المدارس .. رايتك مرة تمسك صحيفة .. فلم اصدق عيني لكنني تنفست الصعداء عندما تجمع بين طياتها بعض الاشياء .. الاشياء المسروقة كانت هذه طريقة تصفحك اياها .. تكذب وتكذب وتكذب علي وعلى امك وحتى على نفسك لماذا ؟ لانك جبان ضعيف غبي تحمل جسما .. آه على فكرة هل تعلم انني في مرة سألت (المرحومة) في بداية عيشنا معا هل انت قريبة خالتي ؟ وقد سألتني بصلفها المعهود لماذا ؟ فقلت لها ان (تفصيلة جسمك تشبهها) ضيق الكتفين بارز الكرش عريض الارداف وكان ردها صفقة قوية .. وصوتك (المرسرع) واصابعك النحيلة الدقيقة ثم مشيتك المترنحة المدللة .. قلت لك لا تتكلم بل دعني احكي ما صادفني في عشر سنوات في نصف ساعة فهل تبخل علي بها ؟ خذ .. خذ هذه واخرجت من جيبها سيجارة واشعلتها له ارجو ان تدخنها حتى يساعدك الوقت لتسمع ما سأقوله عن العزيزة المرحومة .. على فكرة كنت اعرف ان لاحدكما شاربا لكنني لم ادر لايكما ؟ هيه .. بنت القرية انا .. اعلم ذلك واعتز به لكنه في نظر المرحومة (فردوس هانم) نقطة سوداء في حياتي فانا لم اعش الا وسط الحيوانات الحقيقية واشباه

الحيوانات وهي تعنى طبعا خالتي الغالية وبعض الرفاق والرفيقات كنت في نظرها هكذا .. بساطتي .. غباوة .. طيبتي .. ضعف .. ايماني .. تخلف .. طهري .. جمود .. صباي وجمالي.. يذكرها بشيخوختها .

لا تغضب يا صديقي واطمئن فان هذا لم اكتشفه الا قريبا .. وقد عشت في جهالة ، مطوية منطوية بينكما كالتي خرجت من حفرة لتقع في بئر هذا بعض الحوار الذي كان يدور بيننا .

انا – نينة (اي ماما) لماذا قابلت (عقيلة هانم) بالاحضان بالرغم من كرهك اياها . ودعواتك عليها .

هي – انها المجاملة .

انا – كان الشيخ عبده الذي ببلدنا يقول ان الله يتوعد المنافقين .

واجاباتها دائما حاسمة وسريعة.. صفعات قوية وتعقيبي دائما هو آسفة .. آسفة يا نينة .. سلبتني ارادتي وشخصيتي وهي في هذا لم تخدعني هل نسيت ان من شروطها لخالتي ان اكون صغيرة السن حتى تشكلني كيفما شاءت مرة فرسا ومرة عروسا ومرة حمارة ..

وعندما دعينا الى حفل راس السنة في بيت احد اقاربكما تناولت خمرا ، وامرتني ان اتعاطاها فخفت واكثر ما اخافني هو آيات الله ثم اللوحة التي انطبعت في مخيلتي ليلة زفافي وكنت بطلها ، فقلت لها بسذاجتي الماضية : سيكون مأواك النار يا نينة وكتمت ما بنفسها لاننا في حفل وقالت انه العام الجديد .

وقلت بسذاجتي : هل ستقولين ذلك لناكر ونكير ؟

اذكر هذه الليلة جيدا لانني لم اتلق الصفعة المعهودة ..

حبستني في هذا البيت ومنعتني من الاختلاط لكنني اعترف بانني كنت اذهب لجارتي واذاكر معها حتى حصلت على الثانوية العامة من منازلهن . لا تحدق في هكذا . كانت

لا تريدني ان أتقدم شكلا او موضوعا لاكون بالنسبة لك قزمة لاتطلع اليك يجب ان ارفع هامتي لقد رفعتها حقيقة ولكن الى اعلى منك لقد شببت على الصراحة وعدم الادعاء .. عندما كنا نتشاجر خالتي وانا بعدها بدقائق كنا نتصافح ونلقي كل ما بانفسنا فنلتقي ونلتقي وظننت النساء كلهن خالتي طيبة وحنان وايثار .. كانت والدتك تعيرني بأنني امثل الانسانية المتوحشة التي جاءت (بعبلها) من الريف واذن فهو تفضل منها ان تختارني للفارس ابنها .. هي التي من سلالة العثمانيين الصلفاء .. وعندما نضجت عمرا وعقلا وتفتحت تفتحا كاملا وجاءذلك للاسف متأخرا امتلأت نفسي حقدا على والدتك وعليك لامرين اولهما انها انجبتك .. وثانيهما ان تختارني انا دون سائر نساء الشرق اجمعين لاكون زوجتك ولما اختلطت بالصديقات الحبيبات وجدت الخير في قلوبهن والطهر وسألت نفسي : ما الذي يجبرني على العيش معكما ؟ وبدأ المرض يزحف اليها رويدا رويدا .

وانا من الريف يا صاحبي احمل معي الخيرات ، لم اشأ ان اتركك وهي في محنتها لاحول لها ولا قوة لكنني تمردت عليها وبدأت اكسر القيود المقيتة المهدمة التي فرضتها علي فكيف اجسر على مخالفتها حتى لو كانت على خطأ ؟ الم تنتشلني من الريف ؟ الم تصقلني برياء المدينة وزيفها ؟ وكانت في ذلك صاحبة فضل ؟ كيف اتطاول وانمي وهبتي وازيد ثقافتي حتى تتضاءل انت وتتضاءل فتصبح في غمضة عين غلامي القد ..

اما ما اعابتها عليه فهو هذا (وعند ذلك ارتفع صوتها) لماذا ماتت ؟ لماذا ماتت ؟ قبل ان اواجهها واقول لها بكل شجاعة انني امقتك امقتك امقتك وامقت ابنك .. لماذا ماتت قبل ان اقول لها كل ما بنفسي ..

لكنني من ثلاثة ايام فقط بدأت الين واتريث .. لقد اصبحت هامدة لا انفاس فيها ستواري التراب ولا يبقى منها الا العفن كنت اريدها قوية لاصفعها .. كنت اريدها متعجرفة لاكسر شوكتها .. كنت اريدها حية لاواجهها .. بشبابي وطهري وعفتي واضربها الضربة القاضية . انني ألبس السواد ليس من اجلها . بل عليها .. لماذا ماتت ؟ لماذا ماتت ؟ وارتفع صوت سميحة في صيحات تشنجية اتت على اثرها خضرة وهي تكفكف دمعها .. مسكينة ست سميحة انها لا تساوي شيئا بدون الست الكبيرة .. انها تريدها الا تسمعونها وهي تقول لماذا ماتت ؟ وقام اسماعيل من مكانه وهو ينظر الى زوجته ويقول ببلادته المألوفة .

— علام عولت ؟

— سأمكث

وهنا اهتزت نبرات صوته وهو يقول : ا .. ح .. ق .. ا .. ؟

— نعم حتى .. حتى الاربعين .

القاهرة **هدى جاد**

الـربيـع

*

يشاع في قريتنا ... انـي بـه متيّمـه

اذوب في انفاسه ... كضحكة منغمه

أرشف في خماره ... طيوبه ومبسمه

تسكرني عطوره ... همساته المهيمه

تحملني ذراعه ... فأستبيح انجمه

كتبت في اوصافه ... ديوان شعر ... ملحمه

فهل عرفتم فاتني ... ومن به متيمه ؟

هو (الربيع) في الفصول ... يزدهي فالثمه

القاهرة **خيرية نجيب عباس**

محمد بن الخلفة

بقلم علي الحسيني

* * *

من بين الاسماء التي لمعت بين ادباء العراق في القرن التاسع عشر ، اسم الشاعر الناثر « محمد بن الخلفة » الذي يعرفه مؤرخو فن البند معرفة جيدة . ويمكن ان نعد هذا الاسم من بين الاشراقات القليلة التي لمعت في الميدان الادبي في عصر جمدت فيه جهود الادباء ، واقتصرت على الاجترار والتقليد لآثار ادباء سالفين .

وولد محمد بن اسماعيل البغدادي في بغداد — ولا نعرف على وجه الدقة تاريخ ميلاده — وكان والده يعمل في البناء ، ومن هنا كان لقب « الخلفة » يطلق عليه ، وهو من اسماء البنائين . وقد هاجر من بغداد فقصد الحلة طلبا للارتزاق ، وكان شاعرنا لا يزال طفلا . وفي الحلة ترعرع شاعرنا حتى اذا ما اشتد ساعداه بدأ بمساعدة والده في مهنته ، وورث بالتالي هذه المهنة المجهدة .

ولقد ساعدته ظروف المجتمع الحلي على تنمية ملكته الادبية الفطرية ، وكان يرهف سمعه لكل ما يسمعه من نثر وشعر ، ويبدو انه كان يمتلك حسا مرهفا وذوقا فنيا ساعداه على استيعاب الشعر وامتلاك ناصيته ، ثم ساعداه على تذوق النثر الفني وبالتالي امتلاك ناصيته . ومن الواضح انه اعجب اعجابا شديدا بفن البند ، وانتهى هذا الاعجاب به الى محاولة كتابة البند ، وكانت النتيجة باهرة ، اذ انه وفق الى ذلك توفيقا جلب له الشهرة الادبية بين اوساط الادباء والمتأدبين في الحلة الفيحاء .

وتؤكد مصادر البحث ان ثقافته الادبية مقتصرة على السماع ، كما تؤكد على عدم تمكنه من الثقافة اللغوية ، وانه لم يتعمق في فهم اللغة ، وهذا امر يبعث على الاستفهام ، خصوصا وان شعره ونثره يشيران الى ثقافة لغوية جيدة .

قال صاحب « الحصون المنيعة » عنه : « كان اديبا شاعرا ، يعرب الكلام على السليقة ، ولم يحصل على العربية ليعرف المجاز من الحقيقة ، وكان يتحرف بالبناء على انه ذو اعراب ، ويطارح الشعراء من غير كتاب ... وكانت له اليد الاولى في فن البند » (١) . وكرر هذا القول صاحب كتاب « الطليعة » فقال : « كان اديبا شاعرا يعرب الكلام على السليقة ، ويتجنب مجاز النحو فيصيب الحقيقة » (٢) . وكذلك اكد هذا القول صاحب كتاب « شعراء الحلة » فقال : « لم يقرا كتابا ولم يطلع على قواعد العربية من نحو وصرف بل كان يستمد ذلك من ذوق خاص به » (٣) .

وهذه الاقوال — كما قلنا — تثير الاستفهام والدهشة ، ولذلك بالذات اعتبرنا الشاعر من بين الاشراقات القليلة التي لمعت في عصره .

ومن العوامل التي ساعدته على تنمية ملكاته الادبية ، اتصاله بالسيد سليمان الكبير ، وكانت دار الاخير ندوة ادبية يجتمع فيها الادباء ويتطارحون الاشعار ويتذاكرون الاخبار والنوادر ، ويبدو ان صلته بالسيد سليمان كانت متينة ، اذ انه — اي شاعرنا — رثاه رثاءا صادقا فاجعا بقصيدتين طويلتين ، بل انه انب في احدى القصيدتين من لامه على هذا الرثاء .

ومن العوامل التي ساعدت شاعرنا ايضا ، صلته بوالي بغداد داود باشا ، وكان هذا يرعاه ، ومقابل هذه الرعاية كتب شاعرنا روضة شعرية مطولة باللغة العامية في مدحه . وهذه العوامل لم تساعده على احراز مكانة ادبية لائقة وحسب ، بل ساعدته ايضا على احراز مكانة اجتماعية ايضا . وقد توفي شاعرنا في الحلة في بدء الطاعون الكبير الذي انتشر عام ١٢٤٧ هـ (٤) وحمل جثمانه الى النجف ودفن هناك .

ولعل السبب الاول في شهرة اديبنا هو تمكنه من فن البند ، خصوصا وانه كتب البند ذائع الصيت : « الا ايها اللائم في الحب » الذي استهدف به مدح الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد (رضى) ، والذي يحفل بأرق العواطف الوجدانية واجمل الكلمات المتناسقة ، ويتألف البند من قسمين : الاول تمهيد وجداني رائع والثاني مدح صادق كل الصدق . ونرى من المفيد ان نقتطع جزءا من القسم الاول :

« الا ايها اللائم في الحب ، دع اللوم عن الصب ، فلو كنت ترى الحاجبي الزج ، فويق الاعين الدعج ، او الخد الشقيقي ، الذي قد شابه الفصن اعتدالا وانعطافا مذ غدا يورق لي آس غدار اخضر دب عليه عقرب الصدغ ، وثغر اشنب قد نظمت فيه لئال لثناياهن في سلك دمقس احمر جل عن الصبغ ، وعرنين حكى عقد جمان يفق قدره القادر حقا ببنان الخود ما زال على العقد ، وجيد فضح الجؤذر مذ روعه القانص فانصاع دوين الورد ، يزجي حذر السهم طلا عن متنه في غاية البعد ، ولو تلمس من شوقه ذاك العضد المبرم ، والساعد والمعصم ، والكف

---

(١) الحصون المنيعة ، لعلي آل كاشف الغطاء ، ج ٩ ص ٣٣٥ .

(٢) الطليعة ، لمحمد السماوي ، مخطوط . (٣) شعراء الحلة ، لعلي الخاقاني ، ج ٥ ص ١٧٠ . (٤) الحصون ج ٩ ص ٣٣٥ . (٥) راجع البند في الادب العربي لعبد الكريم الدجيلي . (٦) من مصادر البحث : العقد المفصل لحيدر الحلي ، وحيدر الحلي — مخطوط — لعلي الحسيني.

الذي قد شاكلت انمله أقلام ياقوت ، فكم اصبح ذو اللب من الحب بها حيران مبهوت ، ولو شاهدت في لبتـه يا سعد مرآة الاعاجيب ، عليها ركبا حقان من عاج هما قد حشيا من رائق الطيب ، او الكشح الذي أصبح مهضوما نحيلا مذ غدا يحمل رضوى كفلا بات من الرص ، كموار من الدعص ، ومرتجي ردفين ، عليها ركبا مـن ناصع البلور ساقين ، وكعبين اديمين ، صيغ فيهن من الفضة اقدام ، لما لمت محبا في ربى البيد من الوجد بها هام ، أهل تعلم أم لا انت للحب لذاذات ، وقد يعذر لا يعذل من فيه غراما وجوى مات ، فذا مذهب ارباب الكمالات ، فدع عنك من اللوم زخاريف المقالات ، فكم قد هذب الحب بليدا ، فغدا في مسلك الآداب والفضل رشيدا ... الخ » (٥)

والبند هذا من أشهر وابدع البنود التي كتبها اديبنا ، ولعل من الطريف ان نذكر هنا ان شهرة البند اكثر مـن شهرة مؤلفه ، مع انه يجب ان تقترن شهرة المؤلف بشهرة البند على الاقل اذا لم تزدها مكانة .

ولم يقتصر نتاج اديبنا على كتابة البند ، وانما تعداه الى كتابة الشعر باللغتين : العامية والفصيحة ، ولم نقرا له في الاولى الا الروضة الشعرية التي مدح بها « داود باشا » ، أما في الفصيحة فقد وجدنا له شعرا تقليديا يشبه سائر الشعر التقليدي الذي كتبه عشرات الشعراء في القرن التاسع عشر ، في اغراضه وتركيبه العروضي ، على انه يدل على ثقافة تاريخية جيدة ، خصوصا فيما يتعلق بتاريخ الدعوة العلوية ومعركة الطف الفاجعة .

واديبنا مقلد في اغراضه الشعرية ، وهي المديح والرثاء والتهنئة ، كما ان معاني أشعاره تكرار لصور سالفة رسمها أدباء سابقون . وقصائده الرثائية مطولة ـ وهكذا هو طويل النفس في أغلب قصائده ـ وتبدأ قصيدة الرثاء عنده بمقدمة يذكر فيها الديار ويسأل عن ظعن الاحبة وعن مسيرته ـ وواضح ان المقدمة تقليد قديم في الشعر ـ :

عج بي برسم الدار من عرصاتها ... ودع الجفون تجود في عبراتها
دار بشرقي الاثيل عهدتها ... لا البان أين البان من أثلاتها
دار بهـا أودى بقلبي لوعة ... تترقص الاحشاء من زفراتها
واجدس بمعهدها الركائب علها ... تروي بعهد الدمع رمت بناتها
واسأل لعمرو أبي معالمها متى ... ظعن الاحبة بان عن باناتها
يا صاح وقفة مغزل مذعورة ... او كارتداد الطرف في هضباتها

كيما اروح خاطري بشعابها ... وفؤادي الملتاع في تلعاتها
اني ومنعطف الحني على المطى ... فهي الخدور تضيء في ربواتها

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك الى غرضه الاصيل ، وهو الرثاء :

ما ان ذكرت معالما الا وقد ... كادت تذوب النفس من حسراتها
لتذكري دارا بعرصة كربلا ... درست معالمها لفقد حماتها

ويلجأ الشاعر بعد ذلك الى الاسلوب القصصي ، فيذكر بتفصيل كيف ارسل أهل الكوفة الرسائل تلو الرسائل الى الامام الحسين (ع) حتى استجاب لدعوتهم ، ثم يصف مسير موكب الامام الشهيد من الحجاز الى العراق ، وينتقل بعد ذلك الى وصف المعركة ، فيؤكد على شجاعة الامام الحسين وصحبه ، ويصف الفاجعة بمزيد من اظهار الحزن والالم ، وبالتالي يدعو الامام الثاني عشر الى النهوض واسترداد الحق السليب والثار للدماء الزكية التي اريقت :

فانهض لها مولاي نهضة ثائر ... واشف غليل النفس من كرباتها
واقدم بشيعتك الكرام ومكن الـ ... عضب المهند من رقاب بغاتها

ومن قصائده الرثائية التي تحفل بالصدق ، قصيدته في رثاء صديقه سليمان الكبير ، وفيها يظهر شديد المه لما حل به من كرب :

يا للرفاق وقومي والتليد فقد ... هافت فروع اصولي بل ذوى عودي
وربع صبري قد أقوت معالمه ... وعهد بشري أضحى غير معهود
ووابل الدمع لم تقلع سحائبه ... لم لا تفيض وفاضت أعين الجود
رجوت ان يبقى لي ما خلت ان يدي ... جذاء عن نيل مأمولي ومقصودي

ويخلص الشاعر في نهاية القصيدة الى مدح اولاد السيد سليمان ، ويؤكد على انهم سيسدون الفراغ الهائل الذي احدثته المصيبة .

ومن نماذج شعره تخميسه لقصيدة الفرزدق الشهيرة التي مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

وفي التخميس يقول أديبنا :

بحر من العلم أغنتنا جواهره ... غيث متى جاد عم الخلق غامره
صعب العريكة مرداة زماجره ... «سهل الخليقة لا تخشى بوادره
يزينه خلتان العلم والكرم »

لا يغفر الذنب الا في ولايتهم ... اذ منهج الرشد ضرب من هدايتهم
وان تمادوا بسبق من نهايتهم ... « لا يستطيع جواد بعد غايتهم
ولا يدانيهم قوم وان كرموا »

هم الدراري تجلت في مغاربها ... والحكم بالقسط من أشهى مطالبها
اذا القبائل ضلت عن مناسبها ... «بيوتهم من قريش يستضاء بها
في النائبات وعند الحكم ان حكموا »

ولم يخلف أديبنا من المؤلفات شيئا ، ولعله انغمر في مهنته فمنعه الانغمار من تصنيف الكتب او الدواوين ، او لعله صنف كتابا أو جمع ديوانا ففقد كأغلب المؤلفات العراقية في القرن التاسع عشر ، وعلى أي حال فان ما لدينا من شعره يزيد على ثلاثين صفحة بقليل (٦) .

العراق ـ الحلة **علي الحسيني**

ملاحظات عن القصة الحديثة

بقلم ميخائيل كوزنتسوف

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

***



نوقشت القصة في السنوات الاخيرة نقاشا حادا كما لم يناقش اي نوع ادبي آخر. وعلى الرغم من المحاولات العديدة لعد القصة ميتة ومدفونة فهي لا تزال حية لم تتنازل عن صدارتها الى اي ضرب من ضروب الكتابة.

ومع ذلك فليس من المدهش ان تعتبر القصة في وضع حرج في اقطار معينة. وعلى جانبي الاطلسي تحتد المناقشة من حين الى حين حول القصة. فتارة على شكل اسئلة ومؤتمرات خاصة بدارسي الادب والنقاد والقاصين وتارة اخرى على صفحات المجلات.

وفي عهدنا، عهد الانتقال من الكيان الاجتماعي القديم الى الكيان الجديد، يكمن مصير القصة في قلب المناظرات حول اهمية الادب واتجاهاته. ومن البداهة ان يكون لهذا كله ما يبرره من اسباب.

ففي المقام الاول تمثل القصة اشمل الانواع الادبية كلها، واذا ما تطرقنا الى مسالة رسم صورة العالم واقعية بالقصد، لما تأخرنا لحظة عن التشبث بالقصة (لانها هي القادرة على ذلك).

هذا من جهة ومن جهة اخرى تعد القصة اكثر الاشكال الادبية ديمقراطية، فهي تجهزنا بشق كبير من الحياة، وتسلط الضياء على مشكلات الاخلاق والاقتصاد والسياسة الخ. وبكلمة اخرى، لا «مناطق محرمة» امام القصة، فهي تعيد انتاج الواقع جملة وتفصيلا في عملية تطورها، الواقع كما هو «في الحياة نفسها». اضف الى ذلك شعبية القصة العظيمة، الامر الذي يثير حسد الشعراء وكتاب القصة القصيرة، وحقيقة اتصالها الوثيق بالواقعية.

اشار الناقد بيلنسكي الى العلاقة الوثقى بين القصة والواقعية منذ قرن مضى، والحق ان الواقعية (تجد نفسها) في القصة بصورة جلية، وكما كتب انغلز ان القصة تعرف بولائها لاعادة انتاج «شخوص نموذجية تحت ظروف نموذجية». ان التاريخ يرينا ازدهار الواقعية في وقت ازدهار القصة بالذات. اي اننا نجد الواقعية منتصرة في القصة. وفي ايامنا هذه اشار الكاتب الفرنسي فرنسوا مورياك بحق الى شخصية القصة فاعتبرها حصيلة اتصال القاص بالواقع. ومن هنا، فالولاء للواقع هو اول مطلب يترتب على كل (كاتب) واقعي.

وحين يهاجم انصار التفسخ الحديث الواقعية انما يقصدون بالدرجة الاولى القصة الواقعية. ولذا فالمناقشات الادبية التي تعالج الواقعية غالبا ما تتحول الى مناقشات تعالج القصة والعكس بالعكس. وهذا هو سبب حدة المناقشات واهميتها الاساسية.

وقد اتخذت المناظرات بين النقاد الاوربيين الغربيين وبين النقاد الامريكيين بشأن القصة عدة اتجاهات. فبعضهم يتحدث عن ابعاد القصة المعاصرة وآفاقها، وبعضهم عن اهدافها ومهماتها وشكلها المعاصر. ومهما اختلفت الاراء والمفاهيم فهي تعبر عن شعور بالخطر، وعدم الرضى عن القصة الحديثة ممكن العثور عليه دائما بهذه الدرجة او تلك.

اننا نجد احيانا التأمل السوداوي القائل: ان عصر القصة الذهبي يتبوأ مكانه في الماضي. وهذا هو رأي الناقد الامريكي الفريد كازن والعالم الادبي الالماني ولفغانغ كايسر. وكتاب الاخير «اصل القصة الحديثة وازمتها» ذو اهمية خاصة في هذا الشأن. وانطلاقا من تقدير كايسر السامي للكلاسيكيين يتوصل الى النتيجة الذاهبة الى ان القصة المعاصرة في الاقطار الغربية وجدت نفسها مفلسة كل الافلاس، حين واجهت حوادث الحربين الاولى والثانية، لانها عجزت عن ايجاد شكل ملائم للتعبير عن حوادث العصر ذوات التأثير العظيم. اما بصدد قصص مدرسة «تيار الشعور» فقد انتقدها كايسر انتقادا لا رحمة فيه، وعدها دليلا على انهيار الشكل القصصي. انه يكتب عنها بعنف شديد فيقول: «لا يستطيع احدنا الا ان يسأل: من هم هؤلاء الذين يهتمون بهذه الكتب غير الاطباء النفسانيين والاطباء الاعتياديين؟ وحالما تفقد المادة القصصية سحر الجدة تصبح مثار سأم القارىء او شعوره بالقرف.» والامل الوحيد الذي يتطلع اليه كايسر في احياء القصة المعاصرة يكمن في قصة «الطاعون» لكامو، هذه القصة الشهيرة التي تتضمن، ولا شك، قيما جديرة بالاهتمام، ومع ذلك ففكرتها الاساسية فكرة تشاؤمية كل التشاؤم. ولنذكر، على سبيل المثال، اعتراف الدكتور ربو الشخصية الرئيسة حين يقول: «ان جرثومة الطاعون لا تعرف الموت فهي تنام في البيوت عشرات السنين، ولما يقبل اليوم (المطلوب) يستيقظ الطاعون من جديد مع فئرانه ليبعث الموت الى المدينة السعيدة، تعذيبا منه للانسان واساءة اليه.» هذه هي فلسفة القصة المكرسة للحرب اكثر منها للطاعون، لان الطاعون يعني الحرب، وما الفئران حملة الوباء سوى الفاشست. والنتيجة هي هذه: الحروب سرمدية ولا يمكن التغلب عليها، لان الناس ضعفاء.

وفكرة (الطاعون) التشاؤمية يوازيها الطابع العام للقصة حيث تكون الواقعية مجرد غلاف يخفي شيئا مخالفا كل المخالفة . ونتيجة ذلك دمج خاص بين الطبيعية والرمزية بشكل فني يثير اهتمام الناقد الالماني . وبعد ، فالكتاب — في الواقع — رفض مدروس للمجالات الاجتماعية الواسعة والمميزات الطبقية وانجازات السيكولوجيا الانسانية في صورتها الواقعية . ان طبيعة عالم كامو بما فيه من ناس ، وانتفاء التناقضات الطبقية والشر الاجتماعي ، كل هذه الامور تفقد القصة ميزتها وسمتها « كمرآة في الطريق المطروقة » على حد تعبير ستندال . وبالايجاز فهي تضيع حقها في الخصائص الاجتماعية .

اما ممثلو ما يدعى (الرواية الحديثة) — مدرسة اللابلزاكيين — من اضراب الين روب غريليه وناتالي ساروت وميشيل بوتور فهم يذهبون بعيدا في بياناتهم عن القصة الحديثة ، حتى ان الناقد الادبي الفرنسي برنار دورت في وصفه لهذا المرض الحديث يكتب معلقا : ان هذا الضرب من القصة « لا يستند في اي حال من الاحوال الى العلاقات بين الناس وبين العالم » وان غرضه هو « وصف خواء الليل المخيف والعالم المسكون . » اما موضوعات هذا النوع من القصة فهي « الاشياء اكثر من الناس ، لان الانسان يموت ولكن الاشياء لا تموت . »

واذا عدنا الى القصص انفسها لاستطعنا بقليل من الوقت من الوصول الى انها حقيقة « مناوئة لبلزاك » اي انها لا واقعية ، منبعثة من رفض واع لمهمة عكس الصورة الموضوعية للعالم في اطارها الملحمي الواسع . ومن هنا فالاشياء والموضوعات هي التي تحل محل الشخوص الرئيسة . حتى انه صيغت (فلسفة) مذهبية من كلمة (شيء) الفرنسية فاصبحت تدعى « الشيئية » واليك فقرة مهمة في هذا الصدد من قصة (الحسد) لروب غريليه « التقطت اليد اليمنى قطعة من الخبز وحملتها الى الفم ، ثم رمت الخبز على خوان المائدة والتقطت سكينا ، اما اليد اليسرى فقد التقطت شوكة ، الشوكة مغموسة في اللحم ، والسكين تقطع قطعة لحم ، واليد اليمنى تضع السكين على الخوان ، اليد اليسرى تحول الشوكة الى اليد اليمنى التي تخرق قطعة اللحم ، ثم تجلب القطعة الى الفم فيبدأ الفم بالمضغ على وفق حركات الانقباض والانبساط ، الحركات التي تؤثر في الوجه حتى الوجنتين والعينين والاذنين ، هذا على حين تأخذ اليد اليمنى الشوكة من جديد وتحولها الى اليد اليسرى ثم تلتقط الخبز والسكين وبعدها تعود الى الشوكة . » هذا من جهة ومن جهة اخرى ، فان ناتالي ساروت تعبر عن مذهبها الادبي بحرارة ووضوح حين تقول : « ان ما اختص به ليس سوى عواصف في فنجان » .

منذ قرابة ثلاثين سنة اشار رالف فوكس ، الناقد الانكليزي الموهوب الى ان القصة الغربية المعاصرة فقدت الانسان التأريخي (الواقعي) في بطلها ، الانسان الفرد المفعم بغنى العلاقات الاجتماعية ، الانسان الذي يصنع التأريخ .

ان القصة الحديثة بوجهها المشوش المرتبك تسمعنا اصوات الحيرة والخوف بازدياد مستمر . افليس من علائم الساعة ما نالته قصص فرانسواز ساغان من نجاح ، تلك القصص التي تحاول ان تصف بنزاهة جيلا حيَّرته الحياة ؟ وفي هذا الصدد كتب اندريه ستيل من مدة قريبة « لعل احسن صورة من صور فرانسواز ساغان واشدها تمييزا هي صورة السيكارة الرطبة التي يحاول برنار جاهدا اشعالها ، ولو ان هذه الصورة غير مقصودة وهي ليست ذات موضوع . »

واذا استشهدنا باريك ماريا ريمارك (الكاتب الالماني) فان القاص الحديث يثمن « العالم الصغير الذي يحفظ الانسان من العالم الكبير ، من الهياج الذي يحيط به . »

اهذه هي الطريق الى العالم الصغير ام انها منفذ للخلاص ؟ انها محاولة عابثة ، محاولة اللجوء الى هذا العالم الصغير للتخلص من تعسف العالم الذي تسيطر عليه القيم النفعية — وهذه هي احدى الاتجاهات الرئيسة في القصة الغربية . صحيح ان القاصين الغربيين المخلصين الموهوبين يحاولون العثور حتى في هذه «العوالم الصغرى» على الانسانية الضائعة . وهذه (الواقعية الصغيرة) لها نتائجها المثمرة ، ولكن تحديدات هذه (الواقعية الصغيرة) تصبح بديهية باضطراد . كما ينمو الشعور بنقص عدد القصص التي تحاول اختراق « الخواء » الذي يتألف منه العالم المعاصر .

طبيعي ان توجد اتجاهات اخرى ، في القصة الغربية المعاصرة ، ذات ثمار اكثر . فليس قليلا عدد القاصين الشباب والكبار الذين يستمرون في الكتابة على وفق التقاليد الواقعية ويعملون في محيط القصة الاجتماعية ومع هؤلاء جنبا الى جنب نجد الكتاب الذين يرفضون مبدا اعطاء صورة واسعة للمجتمع وهم يزدادون باستمرار .

ومن مدة ليست بالطويلة عرضت المجلة المدريدية (لا استافيتا ليترايا) اسئلة عن مصير القصة . فعبَّر الكاتب الاسباني لويس غويتيسولو غاي عن ارائه بصراحة وصرامة ، حين قال : « ان كيان مجتمع ما حين يدخل فترة الازمة (يتفسخ) ولما كانت القصة احدى منتوجات هذا الكيان فهي لا بد ان تمر بهذه الفترة الحرجة ، وليس في الامر ما يدهش مطلقا . » ثم جاء كاميلو خوزيه سيلا ، عضو الاكاديمية الاسبانية الملكية فكتب في هذا المضمون كانه يطور الفكرة السابقة : « القصة كأي تعبير عن النقد، هي نتاج الحرية . فدعنا ننظر اول ما ننظر الى قضية

الحرية وكيف هي تتطور . » هذه النظرة كانت في مكانها، فما ان نشر السؤال والجواب في المجلة المدريدية حتى اعتقل البوليس لويس غويتيسولو غاي بتهمة سياسية .

* * *

ومستقبل القصة هو موضوع مناقشة حادة في محافلنا الادبية ايضا ، الا ان موضوع الجدل يختلف عما هو عليه في الغرب . ومع النقد العنيف الموجه الى اراء بعض النقاد وبعض القصص الا ان تضارب الافكار بعيد عن التوكيدات التشاؤمية التي تجعل القصة اثرا من آثار الماضي . وجوهر المناظرة يتجه الى مسألة ما يجب ان تكون عليه القصة المعاصرة . وهناك مناقشات حول « قصة الحوادث » و « قصة الشخوص » . اما الاتجاهات الطبيعية في القصة فهي محل نقد . هذا في الوقت الذي تعرض فيه مختلف وجهات النظر عن كيفية رسم صورة كاملة للانسان المعاصر وعصرنا الراهن . كل ذلك من اجل وضع منظر شامل (بانوراما) للعملية التأريخية.

وبين المؤلفات التي تعالج النثر المعاصر يمكن ان نذكر (اصول القصة الملحمية) لتشيتشيرين و (مشكلات الواقعية) لدنيبروف و (النثر الفني) لفكتور شكلوفسكي، ومع ما اثارته هذه الكتب من اخذ ورد فهي تعبر عن شعور بالتفاؤل التأريخي وايمان في امكانيات الادب العظمى والنوع الرئيس فيه (اعني القصة) . لان في القصة الواقعية (الحديثة) يكمن الانسان والمجتمع بأشكال علاقاتهما الحية العنيفة الفعالة .. وبينما نحن نقدر القيمة الجمالية والاجتماعية لاحسن قصص الكتاب الاجانب المعاصرين ، نرى قصصنا على اختلاف مع تلك القصص ، سواء اكان ذلك في طابعها ام في عرضها للمشكلات العويصة ، كمشكلات الفرد والمجتمع والبطل والتأريخ . ومشكلة الانسان والمجتمع هي اليوم ودائما ذات اهمية قصوى لكل قصصنا ... وفي اوائل (عهدنا الجديد) عمل قاصونا على البحث عن الشكل الفني والتلاحم الجديد بين الفرد والمجتمع ، ذلك انهم كانوا يجاهدون من اجل ابداع صورة جماعية للشعب وابداع بطل يمثل الجمهور.

وممن ايدوا هذا (العهد) اندريه بيلي بيد ان قصصه كانت تنوء بتناقض فاجع بين الفرد والمجتمع لم يستطع الكاتب تسويته . ومن هنا فقصص بيلي تشوه كل شيء لتتلاءم مع ذاتية الفرد وهي تذوب كل ما هو تاريخي فيما هو ذاتي .

اما قصص بوريس بيلنياك فمع ما فيها من تعقل فهي لا تفهم ظروف العصر ، الامر الذي انتهى به الى طريق لا اخر لها . والموضوع الرئيس — في قصصه — هو الحوادث التاريخية البراقة التي تلتمع فيها حيوات شخوص فردية ثم تنطفيء . ولذا كانت قصص بيلي وبيلنياك محاولات فاشلة لتطعيم ادبنا بالقصة المستحدثة.

الا ان كتابا اخرين اتخذوا سبيلا مختلفا ، ومنهم الكسندر مالشكين وقسطنطين فيدين وليونوف وغيرهم . وقد تقدم الاخير على غيره من الكتاب بنجاح قصته العظيمة (فيضان الحديد) التي يعبر فيها عن (صورة موجزة) للناس على العكس من اقاصيص الشخوص المنفردة .

وقد حاول كل من الكسي تولستوي والكسندر فاداييف وقسطنطين فيدين والكسندر مالشكين في قصته (سيفاستبول والشعب) حاولوا ايجاد تلاحم عضوي بين مصير الفرد الانساني ومصير الشعب ، اي بين الانسان فردا والمجتمع تأريخا ، تلاحم لا وجودين متوازيين . وهذا ما حدثنا عنه ميخائيل شولوخوف في مستهل قصته (والدون يجري هادئا) حيث لم يركز عمله على مصائر الشخوص الافراد ، بل على الحوادث وعلى (صور موجزة) تتمثل في المنظر التأريخي الشامل لاسهام القوزاقيين في (العهد الجديد) . ثم نبذ شولوخوف هذه الفكرة بنبذ الشكل القصصي الذي يفصل الحوادث على الشخوص التأريخية واختار شكلا اخر يتضمن الحوادث التأريخية العظيمة التي تتجلى من خلال حيوات القادة ، حيث تكوّن الاقاصيص الفرديةالعناصرالرئيسية للموضوع. ومن هنا يصح لنا القول : ان (قصة الحوادث) سبقت (قصة الشخوص) في ادبنا الحديث .. وعلى ذلك يصح اعتبار (والدون يجري هادئا) بداية لمرحلة جديدة في تطور قصتنا .

* * *

ومن القصص التي ظهرت قبل سنتين او ثلاث (معركة في الطريق) لفالينا نيقولاييفا و (الاخوة يرشوف) لفرقولدكو جيتوف ، و (قصة عاطفية) لفرابانوفا و (بعد حفلة الزفاف) لدانييل غرانين و (الخاتم الذهبي) لمخائيل شيستيف وهي تعالج بصورة اساسية الحياة الحديثة ، على وفق الروح الجدلية العنيفة مما اثار مناقشات لم تهدأ بعد . هذا بالاضافة الى نشر القسم الثاني من (الارض البكر حرثناها) لميخائيل شولوخوف ، وقصتي (اقوى من الذرة) لجيورجي بيرشكو و (الاحياء والاصوات) لقسطنطين سيمونوف (بغض النظر عن القصص القصيرة) .

وقد اسهم شولوخوف في المناظرة التي جرت حول النماذج الجديدة في القصة لا على اعتباره رجلا نظريا بل انسانا فعالا في هذا الحقل واضعا قصته (الارض البكر) على مائدة التشريح . ولما نشر القسم الاول من هذا الكتاب قال النقاد : ان موضوع القصة لم يتناول مصير شخوصها بل تأسيس المزرعة التعاونية في غريماجي لوغ .

كان هذا حقا وباطلا معا والواقع ان الكتاب لا يقدم لنا شيئا عن حياة دافيدوف قبل بداية العمل التعاوني

ولا يحدثنا بتفصيل عما كان الشخوص الاخرون يفعلون. لقد تأسست المزرعة التعاونية وشهدنا مولدها ، ومن هنا اخذت القصة تقتفي اثار تقدمها . والان وقد اكملت القصة ففي استطاعتنا ان نراها تبدأ بوصول دافيدوف وتنتهي بموته المفجع . ومع ذلك فاذا اسرعنا وقلنا : ان الكتاب يصف حياة شخص واحد ، لوقعنا في خطأ آخر . ذلك بأن القصة تتناول دافيدوف الشخص الرئيس ، كما تتناول مصير الناس في سنة كانت نقطة تحول في حياة الفلاحين . ولذا فلا يمكن فصل قصة دافيدوف عن قصة المزرعة التعاونية ، لان وحدتهما هي الميزة الرئيسة في حياة الشعب ...

وعلى ذلك فـ « الارض البكر حرثناها » حدث مهم كل الاهمية في تاريخ القصة . فهي تحليل شعري حقيقي للحياة الاجتماعية وهي صورة المجتمع ابعادا وعمقا . نقول « شعري » لان كل شيء من المناظر التراجيدية العنيفة الحدة الى اوصاف الطبيعة تتغلغل الى قلب الفنان فيقدمها الينا كما يدركها . ومن خلال ادراك شولوخوف الفني للعصر تمر امامنا صور حية مفصلة بارزة الاثر ، عسيرة التقليد ، صور تمثل الشخوص افرادا . وهنا نجد التلاحم بين العام والخاص ، التلاحم الذي تسعى اليه القصة الحديثة .

وكذلك يعمل كتابنا جاهدين في محاولاتهم لكتابة القصة بمجال تأريخي واسع . وكتاب سيمونوف (الاحياء والاموات) يعالج السنة المفجعة ، سنة ١٩٤١ . ولكنه ليس « مجرد قصة اخرى عن الحرب » لان سيمونوف يسير في طريق غير مطروقة . والقاص مع شخوصه يواجه أعوص مسائل العصر تعقيدا . فترى الحرب مرسومة على اوسع نطاق ، فهي كانت مأساة وطنية ، مأساة قرننا ، وفي الوقت نفسه كانت امتحانا عظيما لقوى الشعب المادية والروحية ، وكانت نصرا لروحه . والقصة محاولة صريحة ومخلصة لمواجهة الاسئلة غير السهلة : لماذا كانت هزائمنا شديدة في المراحل الاولى من الحرب ؟ لماذا قاوم الشعب تلك المقاومة الضارية ؟ اين تكمن جذور معنوية الشعب المتينة؟ والاجوبة عن هذه الاسئلة تقدمها شخوص سيمونوف بأفكارها المعذبة ومآثرها وبطولتها الغيرية ، في تأملات حارة عنيفة .

ثم ان المنظر الفلسفي الواسع للحرب يربط ربطا وثيقا — في القصة — مع المصير الفردي للشخص الرئيس ، واعني به المرشد السياسي سينتسوف تتكشف القصة — في سطحها — عن قصة انسان واحد . ولكنها — في الواقع — تتجاوز حدود الدراما الفردية . صحيح اننا نوافق النقاد في ملاحظتهم العادلة التي تشير الى ضرورة تقوية مركز الشخص الرئيس (في القصة) ولكننا معنيون بكيان القصة اي بالتعبير عن (روح) العصر من طريق الانسان المعاصر والعكس بالعكس .

اما قصة بيرشكو (اقوى من الذرة) فهي ذات اهمية لا شك فيها من وجهة البحث عن الاشكال الجديدة . انها قصة تعالج الحياة في الجيش اليوم ... يعرض الكاتب مشاكل خلقية : الفرد والمجموع ، الجيش والانسان (المنخرط) فيه . وبطريقة اصيلة بارعة يحل هذه المشاكل ، مبينا « ان الفرد جزء لا يتجزأ من المجموع ، وان هذا التناقض يمكن تسويته تسوية مرضية ، في المجتمع الذي قضي فيه على التناقضات العميقة ، بحيث بات الانسجام هو البديل الوحيد عن التناقض الاجتماعي، الذي تولده الطبقات المتناحرة ، التي تخلق بدورها الانفرادية ، بعد ان تجعل الفرد والمجتمع عدوين لدودين (١) » .

وقصة بيرشكو محاولة للدخول الى حقول واسعة من طريق الشخوص (القصصية) ومن طريق حل الكاتب لمشكلات عصرنا المهمة ويختم الكاتب كل فصل ختاما غنائيا ، متحدثا عن الناس البسطاء ، عن المعاصرة ، عن تهديد القنبلة الذرية ، عن آمال الانسانية ومظاهر الحياة في هذا القرن العابس العظيم ، القرن العشرين . وفي هذه الخواتم ، التي تبدو بعيدة عن مجرى القصة ، نجد التاريخ سائرا الى امام ، وهذه محاولة اخرى لجعل التلاحم ممكنا بين مصير الانسان ومصير العصر .

جاء في قصة (شرارة الحياة) لاريك ماريا ريمارك هذا الحوار :

« ما نحن أثيران أم مصارعون ؟ » « ينبغي لكل شخص ان يكون ثورا . ولكنك تحسب نفسك مصارعا » ما افظع اليأس في فلسفة هذا الانسان (الصغير) انه يجد نفسه مجردا من كل قوة امام القوى الوحشية المحيطة به ! هنا يقع الخلاف الرئيس بين قصص الواقعية النقدية المعاصرة وبين قصصنا . اذ ان ادبنا وضع تقليدا خاصا، تقليدا يخلق من البطل انسانا فعالا مفعما بالتفاؤل التأريخي والشجاعة والجرأة . كما ان كتاب اليوم يعيرون اهمية متزايدة للعملية العميقة التي تتناول حياة الشعب الروحية . وخيرة قصصنا الحديثة العهد تمتاز بمحاولات مؤلفيها للكشف عن اخلاق الشعب ، كما يعمل كل قاص جهده لكي يرينا بطله ، انسانا طبيعيا اعتياديا ، مبتعدا عن رفع شأن (البطل) اصطناعيا عن مستوى الناس المحيطين به « والبطل — في القصة القصيرة لا يقل اهمية عن بطل القصة الطويلة ولضيق المجال آثرنا الاكتفاء بما اسلفنا (٢) » .

اربيل — العراق   يوسف عبد المسيح ثروة

(١) استندنا في هذا الى ما وردنا من كتاب (نظرية الطبقة المرفهة) للعالم الامريكي ثورشتاين فيلين ، المترجم . (٢) من كلام المترجم .

لآخر بكلتا يديه قبعته البيضاء الكالحة التي يصعب عليه احيانا نزعها من راسه من قوة ذلك الضغط.

وكانت نيران الغروب قد انبثقت في السماء، وبين السلام الذي هبط على الريف بظلال المساء والنسيم العليل، ازدادت حركات ذلك الرجل الغاضب دائما. وعندما اتى وراى الكسر بدا وكانه يريد ان يختنق ثم هجم على هؤلاء الثلاثة وامسك احدهم من «زوره» والصقه بالحائط صائحا:

ـ يحرق ... ستدفعون لي ثمنها.

ثم امسك بالاثنين الاخرين وقد بدا الارتباك على وجهيهما المغبرين.

ـ يا حيوانات.

ثم ارتد الغضب الى نفسه فرمى قبعته في الارض وضرب راسه ولطم خديه، ضاربا اقدامه بالارض كهؤلاء الذين يبكون عزيزا قد مات.

ـ الجرة الجديدة ؟! اربع «اونسات» .. انها لم تستعمل حتى الان ... ومن ذا الذي كسرها .. اكسرت وحدها ؟! لا بد ان انسانا كسرها عن عمد من اجل الحسد !!؟ ولكن متى ؟ وكيف ؟ .. ربما وصلت مكسورة من المصنع ـ ولكن لا ! لانها كانت ترن كالجرس.

وحالما راى الفلاحون الثلاثة بادرة الهدوء تهبط عليه، بداوا ينصحونه: ستصلح الجرة من جديد، ان كسرها ليس سيئا على كل حال .. ان الكسر قطعة واحدة متماسكة .. ويوجد فخار ماهر سيجعلها جديدة في الحال .. انه «ذي ديما ليكازي» الذي اكتشف نوعا من الغراء العجيبة والذي يحتفظ بسرها لنفسه والتي بها حتى ولا المطرقة تستطيع ان تكسرها، واذا اراده السيد لوللو نحضره غدا في الفجر، وحالما يحضر «ذي ديما» فسريعا ما تصبح الجرة احسن من ذي قبل.

وقال دون لوللو لهؤلاء الناصحين: لا، لانه اعتقد ان كل ذلك غير مجدي وانه ليس ثمة علاج، غير انهم اقنعوه في النهاية.

وفي اليوم التالي في الفجر تماما حضر ذي ديما الى بريموزولي، يحمل على كتفيه سلة العمل (الشغل). لقد كان عجوزا مقوس الظهر ذا ركب معوجة، سميكة كجزع زيتونة قديم تحتاج الكلمة الى خطاف كي تخرج من فمه ... يفيض بذلك الحزن المتأصل في جسده البشع، لا يثق في ان الاخرين يستطيعون فهمه وتقديره حق قدره، والاعتراف بفضله كمخترع ومتخصص، انه يريد ان يتحدثوا عن فنه.



LUIGI PIRANDELLO

•

تلفت (ذي ديما) اماما وخلفا حتى يتأكد من انهم لن يروا ولن يسرقوا سر صناعة الغراء العجيبة. وكان اول شيء قاله دون لوللو بعد ان حملق فيه طويلا بلا ثقة.

ـ دعني اراها.

ورفض ذي ديما بهزة من راسه وقد امتلأ بالعزة.

ـ سترى أثرها.

ـ ايكون اثرها حسنا ؟

ثم وضع ذي ديما السلة على الارض واخرج منها منديلا قديما (مكرمشا) وبدا بفرده شيئا فشيئا بين انتباه واستطلاع الجميع وعندما اخرج منه في النهاية نظارته ذات (الشنبر) المكسور، المربوط بخيط القنب متنهدا بين ضحكات الاخرين الذين لم يعبأ بهم ... ونظف اصابعه اولا ليلتقط بهما النظارة ثم لبسها وبدا يفحص الجرة بخطورة عظيمة في الخلاء، في الجرن قائلا ستكون حسنة.

ـ استصلحها بالمعجون وحده ؟ هكذا سال دون لوللو وكانه يريد ان يضعه امام شرط.

ـ الا تثق في ان الغراء وحدها تكفي ؟

ـ لا اني اريد ايضا بعض الغرز السلكية.

ـ اذن فدعني اذهب، اجاب ذي ديما في الحال واضعا سلته على كتفيه.

وامسك دون لوللو بذراعه.

ـ الى اين، ايها السيد الخنزير، اهكذا تعاملني ؟ انتظر قليلا وكفى حركات سخيفة ايها البائس .. انك فخار احمق ... انك ملزم بان تتلقى الاوامر ويجب ان اضع الزيت في الجرار، ولا اريد ان يرشح ايها الحيوان الكبير .. انها ليست ثغرة ضئيلة حتى يمكن اصلاحها بالغراء وحدها اه !! اما هذا كله ؟! فلا اظن ... اني اريد الغرز والغراء معا واني آمرك بذلك.

واسبل ذي ديما عينيه ومط شفتيه وهز راسه، وكأنه يريد ان يقول «كلهم هكذا ينكرون فضله في اخراج عمل رائع ونظيف، نابع من ضميره وفي ان يقدم لهم دليلا قاطعا.»

ـ اذا لم ترن الجرة من جديد كالجرس.

ولكن دون لوللو قاطعه قائلا ـ لا شيء ؟ (اشتغل)، ولكن لا تنسى الغرز، ولكن كم يجب ان تدفع.

ـ بالغراء فقط ؟

صاح دون لوللو:

ـ اوه ما هذا ؟؟ يا للحمار ... ماذا قلت لك ؟ لقد قلت لك اني

اريد بعض الغرز السلكية ، ولتنهي العمل ، فلا املك من الوقت ما أضيعه معك .

وبدأ ذي ديما العمل ، يملأه الغضب والضيق ، وعدم الاحترام الذي عومل به .. والضيق وعدم الاحترام اللذان كانا يزدادان فيه بمرور كل لحظة وهو يعمل خرامته في الجرة وفي الجزء المكسور كي يعد فيها الثقوب التي سيمرر فيها خيوط السلك الحديدي . وقد صاحب صوت الخرامة الحديدية صوت يشبه الخرير كان يزداد ويقوى شيئا فشيئا ... ذلك الذي جعل وجه ذي ديما يقتم ويصير اكثر زرقة من المرارة ، وان تجحظ عيناه من الغيظ البشع .

وانتهت العملية الاولى ورمى ذي ديما بخرامته في السلة .. ثم وضع الجزء المكسور في مكانه من الجرة ليطمئن اذا ما كانت الثقوب قد ثقبت في مسافات متساوية وفي توافق فيما بينهما ثم اخذ يقطع بالكماشة السلك الحديدي قطعا صغيرة بعدد الغرز التي ثقبها لها ، ثم نادى احد الفلاحين الذين كانوا منشغلين بالجني ، فاقبل اليه ، ثم قال ناظرا في وجهه المتجهم :

ــ تشجع يا ذي ديما !

وبحركة ضجرة رفع ذي ديما يده وفتح صندوقا من الصفيح كان به الغراء ، ورفعه الى السماء ، كما لو انه يريد ان يهديه الى الله (الذي يعرف فضله) اكثر من هؤلاء الذين يحيطون به ، ثم بدأ يمر بأصابعه بالغراء على الجزء المكسور بطول الشرخ . ثم تناول الكماشة وقطع الاسلاك المعدة امامه وادخلها من الجزء المكسور في الجرة .

وسأله الفلاح الذي طلبه ليساعده ويسند له ذلك الجزء المكسور ــ استعمل من الداخل .

ولم يجب ولكنه اشار عليه آمرا ان يسند الجزء المكسور في الجرة ، هكذا كما فعل هو منذ دقائق . ثم وضع ذي ديما نفسه داخل الجرة !

وقال من داخلها للفلاح بصوت مخنوق :

ــ يجب ان تجذب الجزء المكسور الى الجرة .. اجذبه بكل قوتك ... أنظر الا ترى انها صارت احسن من ذي قبل ؟ .. الويل لمن لا يعترف بالحق ... (انقر) ... (انقر) اسمع كيف ترن ، حتى بالرغم من اني بداخلها ... اذهب وقل لسيدك الطيب .

ولكن الفلاح قال متنهدا : ــ (اللي فوق لازم يأمر) ثم اردف :

ــ (واللي تحت يتلعن) .. اعمل الغرز ... اعمل الغرز .

واخذ ذي ديما يعمل كل ثقبين متقابلين بقطعة من السلك ثم اخذ (يبرم) طرفيها بالكماشة اننا في حاجة الى ساعة كاملة كي ننهي عملنا . وتفصد من العرق كالنافورة داخل الجرة .. كان يعمل شاكيا حظه التعس ، بينما كان الفلاح يهدئه من الخارج .

ــ والان ساعدني كي اخرج منها، هكذا صاح ذي ديما في النهاية في الفلاح من قلب الجرة ، ولم يكن يدرك من شدة غيظه انه سيدخل مأزقا . والان ها هوذا يحاول ويحاول الخروج فلا يجد الطريق ، أما الفلاح فبدلا من ان يقدم له مساعدة انفجر في الضحك قائلا :

ــ يا للسجين ... هاها .. يا لسجين الجرة .. ذلك السجن الذي عمله لنفسه ... والان لا طريق للخروج .. الا اذا كسرت الجرة ثانية والى الابد .

وبين الضحك والصياح حضر دون لوللو فرأى ذي ديما في الجرة كقط هائج . وهو يصيح :

ــ دعني أخرج .. بحق المسيح .. اريد ان اخرج .. اناشدك الله اني في حاجة الى المساعدة .

ووقف دون لوللو كالمشدوه ، ولم يعرف كيف يعتقد انه سجين .

ــ ولكن كيف ؟ ! في الداخل ؟ أرمى بنفسه في داخل الجرة ؟

واقترب من الجرة وصاح في العجوز .

ــ مساعدة ؟ ؟ اية مساعدة استطيع ان اقدمها لك أيها العجوز الاحمق ؟ .. لِمَ لم تأخذ حيطتك اولا ؟ ... اخرج ذراعك ... هكذا .. وراسك . لا .. انتظر ... ان ذلك لن ينفع ... ولكن كيف تصرفت هكذا ؟ والجرة الان .... كيف ننقذها ... اهدا .. اهدا .. وامر كل الموجودين حول الجرة بالتزام السكينة حتى لا يقلقوا العم ذي ديما ... اوه انك تسحق راسي .. الهدوء .. انها حالة جديدة .. البغلة ... اسرجوا البغلة .

ثم نقر الجرة بأصابعه .

ــ انها ترن حقيقة كالجرس .. انها جميلة .. لقد بقيت جميلة .

ثم أمر أحد الفلاحين قائلا : اذهب لتسرج البغلة وحك جبهته بكل اصابعه ، ثم تابع الحديث مع نفسه .. ولكن لأنظر قليلا ... انها ليست الجرة ... انها مسكن العفاريت .. لاثبت .. لاثبت هنا .

ثم دار دون لوللو حول الجرة التي بها ذي ديما المغتاظ يتخبط كحيوان في مصيدة ثم تمتم قائلا : انها حالة جديدة يا عزيزي ، يجب ان يحلها المحامي .

ثم اردف : اني ذاهب وسأعود ، يجب ان تصبر وهذا لمصلحتك ... واهدأ واني سأتصرف في شئوني بحكمة . ولكن قبل كل شيء كي آخذ حقي يجب ان اؤدي واجبي .. هذه هي الاتعاب وهذه هي يوميتك .. أتكفيك ثلاث ليرات ؟

ولكن ذي ديما صاح مهتاجا .

ــ لا اريد شيئا ... اريد ان اخرج فقط .

ــ ستخرج ... ولكن واجبي ان ادفع لك اتعابك .. ها هي الثلاث ليرات .

وجذبها من جيب صداره ورماها في الجرة ، ثم سأل بمروءة :

ـ هل تناولت أفطارك ؟ ثم أمر له بخبز وادام .

ـ ارمه للكلاب .

ـ الا تريده ؟ كل ما يهمني اني قدمته لك ، ولا يهمني ان تأكله بعد ذلك .

وامر باعطائه الاكل ، ثم امتطى البغلة وجرى صوب المدينة ، ولانه كان يلوح بيديه بشكل عجيب (كالبلياتشو) تماما ، اعتقد كل من رآه انه ذاهب بمحض ارادته الى مستشفى المجاذيب .

ولحسن حظه انه لم ينتظر طويلا في حجرة الانتظار ، لان المحامي لم يكن مشغولا ، الا انه امام المحامي ، اضطر ان يقف طويلا فقد كان المحامي يستوقفه عن الكلام حتى ينتهي من ضحكه ، كلما قص له فاصلا من حكايته .

وسخط دون لوللو من ضحك المحامي ، حتى خرج عن احترامه له وقال له بحدة :

ـ ولكن ماذا يضحكك ؟

ـ متأسف يا سيد لوللو .

ـ اني لا زلت احترم سيادتك . . ثم انها جرتي .

ولكن المحامي تابع الضحك وود لو يحكي له القصة ثانية كي يضحك من جديد .

ـ هاها . . داخلها ؟ احاك على نفسه داخلها ، وانت يا سيد لوللو . . ماذا تدعى ؟ اتحبسه داخلها حتى لا تفقد الجرة ؟

وسأل دون لوللو : وهل سأنقذها حقا ؟ ثم اردف وقد رفع قبضته بحدة : موت وخراب ديار .

ورد عليه المحامي : ولكن اتعرف ماذا يسمى هذا ؟ . . يسمى حجز على حرية انسان .

وصاح دون لوللو : محجوز عليه . ومن الذي حجز عليه : ثم اردف : اذا كان قد حجز على نفسه فما ذنبي انا ؟ !

وحينئذ شرح له المحامي انه يوجد حالتين بالنسبة لدون لوللو :

ـ يجب اولا أن يخرج الرجل السجين ، حتى لا يعتبر هذا حجزا على شخص وعلى الفخار ان يتحمل الخسارة التي سببها جهله وعدم خبرته .

وتنهد دون لوللو ثم قال : اادفع انا ثمن الجرة ؟

ولكن المحامي نصحه قائلا : انها لم تكن جديدة ؟

ـ لماذا ؟

ـ لانها كانت مكسورة .

ـ مكسورة ؟ انها ترن الان احسن من ذي قبل ، لقد قال ذلك هو بنفسه ، واذا كسرت ثانية لن استطيع اصلاحها مرة اخرى يا للجرة المفقودة يا سيدي المحامي .

واكد له المحامي انه ربما حصل على ثمن الجرة في حالتها الراهنة ، ونصحه قائلا :

ـ دعه يقدر ثمنها اولا بنفسه .

ـ اقبل يديك ان تجد لنا حلا .

وفي العودة في المساء وجد كل الفلاحين في احتفال حول الجرة المسكونة . . حتى كلب الحراسة اشترك هو الاخر في الحفل ، كان يقفز وينبح ، وكان ذي ديما هادئا وليس ذلك فقط ولكن اخذته الدهشة من حالته الغريبة فعاد يضحك منها .

وفرق دون لوللو الجميع واطل في الجرة ونادى السجين .

ـ اتشعر بالراحة والاطمئنان ؟

واجاب ذي ديما : بالاطمئنان العظيم ، اني في جو اجمل وانعش من منزلي .

امسرور ؟ . . . ولكني اريد ان اخبرك ان هذه الجرة كلفتني اربع اونسات . . . كم تعتقد انها تساوي الان برمتها ؟

ـ بما فيها انا ؟

وضحك الفلاحون

وصاح دون لوللو مغتاظا : سكون. ثم اردف : واحدة من اثنتين : اما ان غراءك قد افادت واما لا . واذا كانت لم تأت بفائدة فانت محتال ،

وحتى اذا كانت قد افادت وقد صارت الجرة الى ما صارت عليه ، يجب ان تدفع ثمنها .

ـ اي ثمن ؟ !

ـ قدّره انت .

وتوقف ذي ديما عن الكلام قليلا ثم قال : اذا كنت قد تركتني اعمل بالغراء فقط كما اردت انا قبل هذا ، لما وجدتني هنا في هذا المازق ولما فقدت الجرة قيمتها الاولى . ولكنك هكذا تجعلها تتحطم بسبب هذه الغرز التي ارغمتني على عملها بالقوة من هنا من الداخل .

ـ اذن فكم تعتقد انها تساوي الان ؟

ـ ثلث ثمنها .

ـ ثلث ثمنها اي اونسا وثلاث وثلاثين ليرة .

ـ ولا يمكن ان تزيد ولكن من الممكن ان تنقص .

ثم قال دون لوللو : اذن اعطني سبع عشرة ليرة .

فقال ذي ديما دهشا: ماذا ؟ !! . . وكيف اذا كنا لم نتفق ؟ !

فأجاب دون لوللو : لاني مضطر أن احطم الجرة كي اخرجك منها ، لقد قال المحامي يجب ان تدفع لي ثمنها حاليا ، اونسا وثلاثة وثلاثين ليرة .

فقال ذي ديما باشمئزاز : اادفع انا ، يبدو انك تسخر يا سيدي . . اذن سأبقى هنا حتى يأكلني الدود!!

ثم اخرج ذي ديما من جيبه غليونه الاسود ، ثم اشعله واخذ يدخن بينما اخذ الدخان يخرج من حلق الجرة .

لقد وقع دون لوللو في مأزق . وهذه حالة اخرى لم يرها هو ولا المحامي نفسه من قبل ، ان ذي ديما لا يريد الخروج من الجرة . . ولكن كيف تحل الان ؟ ! وامر من جديد باحضار البغلة ثم قال لذي ديما :

اتريد ان تقيم في جرتي ؟ ان كل هؤلاء شهود عليك الا تريد الخروج حتى لا تدفع ثمنها ، اني على استعداد

احبك من بعيد

•

لا تقولي
انت عني بعيد
تسرح نظرك فوق بحر مديد
وتصطاد على شاطئه
الذكريات الدفينة
ثم تدخل الملهى الفاجر
لتغازل بائعات الجسد المثير
لتعطيهن احلى المواعيد
في ليال غاب قمرها الشريد

انا يا سمراء اللفحة
احبك من بعيد
واسأل عنك العندليب
كلما مر امام بيتي الكئيب
فيغص السؤال
وتخنق الكلمة المحال

يا سوداء العينين
انا لا احنث عهد المواثيق
وتحت سنديانة دير غارق بالسنين
اهرب الى نفسي
اعصر ساعاتنا
امدها سنين

انا يا سمرائي
دوما اليك قريب
انا لا انسى شاطيء الادرياتيك
والصدر الدافيء يعلو ويهبط
كم مرة توسدته
وهدير الامواج يصخب
وشوقي الى العناقات المبعثرة يتاجج

لا تقولي بعد الان
انت عني بعيد
انا ما زلت
احبك من بعيد

ابراهيم عبده الخوري

ان احطمها ، ولكن لماذا تريد ان تبقى هنا ... غدا سأستشهد بها كمسكن مستقل. وانك تعطلني من استعمالها.

واطلق ذي ديما نفسا آخر من الدخان قبل ان يجيب بثبات :

ــ يا سيدنا انا لا اريد ان اعطل شيئا .. اوقد فعلت ذلك برغبة مني ؟ اخرجني وسأذهب منها بكل سرور .

وفي نوبة غضب رفع دون لوللو رجله ليضرب بها الجرة، ولكنه ضبط نفسه وامسك الجرة بكلتا يديه وهزها مرتعشا .

وقال له ذي ديما : الم تر كم تكون الغراء ؟

وهدر دون لوللو : نعم يا (وش) السجون .

ــ ومن ذا الذي يفعل الشر انا ام انت ، أأنا ملزم بالدفع ؟

ــ اذن مت من الجوع داخلها ، وسترى من الرابح .

وذهب عنه دون لوللو دون ما تفكير في الثلاث ليرات التي رماها له في الصباح . والتي فكر ذي ديما في ان يقيم بها حفلا في المساء مشاركة مع الفلاحين الذين حضروا متأخرين ليروا هذا الحادث الغريب وبقوا ليقضوا السهرة في الريف في الخلاء في الجرن بينما ذهب احدهم ليشتري بعض الاشياء من « الخمارة » القريبة ، وليكمل التحدي ، بدا القمر منيرا ساطعا وكأنه الصباح .

وذهب دون لوللو لينام في موعده المعتاد ، ولكن ايقظته ضجة جهنمية ... انهم الفلاحون السكارى يشربون ويرقصون حول الجرة وذي ديما يغني من الداخل بصوت ممزق.

ولم يستطع ان يتدبر أمره في هذه المرة ، فهاج كثور ثائر ، وقبل ان يعطي هؤلاء الفرصة كي يثنوه عن عزمه ، ركل الجرة ركلة قوية اطاح بها ، فأخذت تتدحرج مصحوبة بضحكات السكارى ، حتى تحطمت على جزع زيتونة .. وانتصر ذي ديما في النهاية !

القاهرة — السيد فرج



الفـن الادبـي

تأليف مصطفى عبد اللطيف السحرتي – (لم يذكر الاستاذ ابو طالب سائر البيانات : عدد الصفحات واسم المطبعة وغير ذلك)

أود ان اذكر بادىء الرأي، ان هذا الكتاب ليس الا مجموعة من المحاضرات القيت في رابطة الادب الحديث عن بعض فنون الادب ، من قصة قصيرة، ومسرحية ، ومقال ، ونقد ، دفع صاحبها الى جمعها في هذا السفر الجليل ، لشوقه الى وجود ادب مصري حي ، في شكله ومضمونه : أدب يجمع بين الجمال والحقيقة وهما شيئان متحدان . او كما يقول الشاعر كتس « الجمال الحقيقة ، والحقيقة الجمال » .

والواقع ان الاستاذ السحرتي قد راعته هذه الكثرة الكاثرة التي تقذف بها المطبعة من دواوين ومجموعات قصصية وبحوث ادبية ، وروايات ، ومسرحيات يعلو وجهها الشحوب والهزال لانها لم تكتب كتابة فنية ، وقلة قليلة لشباب موهوبين ، وكهول ناضجين لا يكاد بريق دررها يأخذ بالابصار حتى يضيع بين ركام هذه الكثرة من الزجاج المهشم ، والعجاج الطائر الذي ترنو اليه النفس وهو يختفي بين السحاب .

على ان مما يحز في النفس ، ويثبط الجهد ، ان بعض كبار ادبائنا يقفون موقف المحايد من هذا الانتاج الموهوب ، بل موقف المتاجر القاتل في كثير من الاحيان بمقولة : ان الانتاج الجديد يخالف عن تقاليدهم التي الفوها ، ولو علموا ان هذه القيم الجديدة ، ستصبح يوما ما جزءا من التقاليد الادبية ، وما يجوز من شرعة الضمير الادبي ان يقع عداء بين فريق من الادباء ، بل ان الامانة الادبية لتقتضي ملاقاة الانتاج الجديد في تجاوب وايثار ، بل في نزاهة وانصاف . او كما قال الشاعر العالم الدكتور ابو شادي :

كن انت نفسي واقترن بعواطفي تجد المعيب لـدى غيـر معيب

وما من شك في ان لدينا من شعراء الجيل الجديد الموهوبين ، عددا ليس بالقليل ، حمل لواء الشعر الجديد ، وكانت لهم تجارب صادقة أدوها اداء موفقا ، سواء أكان هذا الاداء حرا ، أم مقفى ، يتاهلـون عليه من كل ناقد نزيه الانصاف والتقدير .

فالشاعر عفيفي محمود خير مثال لهذه المجموعة المحلقة الطامعة ، نسوقه ظاهرة وبيئة من ظاهرات المجتمع المصري . فهو يصف تكتل الناس في المقاهي يقتلون الوقت ، ويضيعون العمر بين اللفتة الحائرة ، والشرود البهيم ، ومن يقرأ هذه القطعة الخالدة لا يسعه الا الثناء المستطاب على هذا الشاعر الذي استطاع ان يصور هـذه الحالة الاجتماعية ، والثورة عليها :

يرقص رواد المقاهي في بلادي بالالوف
يتندرون ويضحكون على البذيء من النكات
ويشنعون على العباد ويطلقون الشائعات
ويجربون الحظ في لعب « القشاط » او الورق
ومن السجائر ينفضون رماد عمر محترق

ويختم هذه القصيدة بقوله :

عذرا اذا انا قد قسوت عليك يا وطني الحبيب
اني اغار عليك من كل النقائص والعيوب
ما زال ينتظـر الخلاص مـن العيوب الباقية
شعب شق طريقه بين الشعوب الراقية

ولدينا مـن كتاب القصة القصيـرة ، من يماثلـون هؤلاء الشعراء فـي تصوير حالة المجتمـع ، والثورة علـى بعـض مواضعاته الاجتماعية من امثال الدكتور يوسف ادريس، وعبـد الله الطوخـي ، ويوسف الشاروني وغيرهم ، ممن صوروا حياة المجتمع وناسه ، تصويرا دقيقا ، فجمعوا بين النضج الفني وحقائق الحياة .

وعندنا كوكبة امتازت بكتابة المقال ، فـي مقدمتهـم رجاء النقاش وشكري غالي وعبد المحسن طه وغيرهم كثير يستحق الالتفات والتقدير. ولدينا مـن كتاب المسرحية باكثير ونعمان عاشور وغيرهما شقوا الميدان بفن جديد في طريق مملوءة بالاشواك والصخور .

والى جانب هؤلاء ، شباب وكهول ، آمنوا بالحرية ، وروح التقدم ومفاهيم العصر الجديدة ، عبروا عنها ، ولكن اعوزتهم التأدية الجمالية ، والى هؤلاء ، الف الاستاذ السحرتي كتابه : « الفن الادبي » ، عله يلقي بعض الاضواء على فنون الادب المنوعة ، والى لفيف آخر من هؤلاء الذين راح في ظنهم ان الاثر الادبي يبقى او يعيش لمجرد احتفاظه بالشكـل الفني الصرف ، دون اهتمام بالمحتوى الاجتماعي ، او السيكولوجي .

والواقع ان الاستاذ السحرتي ، قد ساق هذا الحديث ، ليكشف عن وظيفة الادب الحقيقي ، وهي وظيفة اجتماعية في الجوهر ، اذ لا حياة تشكل جميلا دون محتوى قيم . فالشاعر الذي يلفنا في ضباب ، وهو يتحدث عن حبه الضائع لن يروقنا شعره عندما يقول :

وأنا الان وحيد
وشريد
بكتاب كاذب فوق ضلوعي
ودموعي
وعلى شباك بيتي جف عود
كل ما حولي : خراب وذبول
كله ليل طويل
تهدر الريح تنادي باسمه الموعد جاء
لا رجاء
فهو خلف الخلف ينسى ما دهاه
بنجيمات تميته
وبحيطان تميد
عله مثلي يكبو بالهاد
وينادي ان أعود
يا صغيري
كمرور العطر لوح بالسلام
ان يدق الباب طيعي
ثم دعني
انتظر حظ المنون
ففراشي من جمع
ليس يدفيني ازار
او دثار
رقد القيح بجسمي للابد

مثل هذا الشاعر ، يهدر طاقته الشعرية ، ويبددها فـي تجارب ذاتية ، ما اخالها الا كلمات رصت رصا ، او وضعت على هذا الرف وليس بها من حراك .

لهذا اود ان ادعو الادباء الذين اعوزتهم الاداة ، والادباء الذين لم تضوىء في قلوبهم واذانهم الحقائق المهمة والمفاهيم الجديدة ، ان يمارس الاولون عملية الخلق ، ومعرفة الصناعة الفنية الماهرة للفن الذي اليه ينزعون ، وان يتيقظ الاخرون لوظيفة الادب الحقيقية .

ولقد ابان الاستاذ السحرتي في كتابه : « الفن الادبي » ، بصفة عامة ، ان كل نوع من انواع الادب ، سواء أكان ادبا خلاقا ، مثل : القصة والرواية والشعر والمسرحية ، أم كان ادبا تفسيريا : مثل المقالة ، وترجمة الاشخاص والنقد ، كلها تتطلب ممارسة عملية الخلق بوعي او بغير وعي . وعملية الخلق ، عملية تبدأ وتتوالد في العقل الباطن ويهذبها العقل الواعي ، ثم يبرزها الى الوجود . وهذه العملية تعتمد الشعور بالفكرة والشغف بها ، وجمع الخواطر المنوعة حولها وتفسيرها ، وتوليد ثمرة منها . فاذا ما تفاعلت هذه الحالات ، وتكشفت للذات اتى دور تنظيمها وتنسيقها وتاليفها تاليفا فنيا شاملا للعناصر الفنية المطلوبة لكل نوع من انواع الادب ، ويشترك في كل لون ادبي عناصر الوحدة ، والحركة ، والنهاية المقنعة المؤثرة .

فاذا ما مارس الاديب عملية الخلق ، وعرف العناصر الفنية لعمله الادبي ، اتى دور كتابة الاثر الادبي ، أي اسلوبه ، واسلوب الكاتب يتحدد بشخصيته المخلصة ، وقدرته اللغوية ، وبهذه الادوار الثلاثة ، تخلص لنا المقومات الجمالية للعمل الادبي ، ويقدر بحسب تلقي القارىء البصير ، والناقد الحصيف له .

ويمكن لهذا الاخير تقديره تقديرا صائبا اذا دقق في مستوياته الانفعالية والحكائية والوصفية ، وما يرقد فيه من غاية او هدف او رسالة ، وامكنه كذلك ان يعرف ما اكتنفه من خلخلة بفقدان عنصر من عناصر البناء المهمة ، ويمكنه الحكم على قيمة العمل الادبي .

ولن يكون هذا الحكم سليما الا اذا نظرنا الى المحتوى الذي نسجته هذه العمليات الفنية ، والمحتوى من حيث اهميته ، هو العنصر الحقيقي لكل عمل ادبي ، وله درجات بحسب قيمته البناءة في حياة الاشخاص ، وفي المجتمع . فالاديب الذي يقف عند وصف حالة من حالات مجتمعه ، وصفا مجردا ، ليس كالاديب الذي يدعو الى الثورة عليها ، ومحاولة بنائها وتوجيهها . والمحتوى الذي يحوي حقيقة تافهة كنسيج العنكبوت الذي يحمل ذبابة ميتة ، والمحتوى الذي يحمل حقيقة باقية ، او تجربة ناضجة ، او فكرة عميقة ، يشع في القلوب والاذهان ، ويبقى امدا طويلا ، لا يفارقها .

ومما لا جدال فيه ، ان الاستاذ السحرتي ، قد قال بهذا ، وطبقه على الشعر وعلى القصة القصيرة والمسرحية ، وذهب الى ان : محتوى الشاعر في هذا العصر ، ينبغي ان يتحول من ميدان الذاتية الى الميدان العام ، والى الميدان الانساني ، واتى بقصيدة للشاعر الروسي «بالمونت» هي « لا حب » التي يقول فيها « اني اعلم ان لا حب في الحب ، الحب سراب عميق ، يورث ارواحنا عذابا جديدا عميقا ، الحب صديق ذاهب ، وعدو باق . فلا تعذب روحي بالالم الكامن ، انس ، وتعلم ألا تبكي او تحب ! »

ويريد هذا الشاعر ان يدفعنا الى العمل ، والى الحب الكبير للوطن، او للانسانية .

وفي القصة القصيرة ، نوه السحرتي بقصة : « الصورة » لعبد الله الطوخي ، وهي قصة تروي تناقض المفارقات بين عقلية الفتى المترف وبين طالب العمل من اجل لقمة العيش ، وفيها ثورة كامنة على التفاوت الطبقي ، كما شرح بايجاز قصة « المحفظة » ليوسف ادريس ، والتي تكمن فيها اهداف منوعة : وهما قصتان جمعتا الى جمال الاداء ولطفه ، المحتوى القيم ، والهدف الهادف .

وفي المسرحية ، اوجز هذا الناقد ، الحديث عن مسرحية : «العدالة» للكاتب الانجليزي : جالزورثي ، وما حوت من ناحية اصلاحية . ففي الفصل الثالث منها ، ابان الكاتب عن بشاعة السجن ، واثر ذلك في الجمهور الانجليزي أيما تاثير ، مما دعا وزير الداخلية في ذلك الحين لوضع انظمة اصلاحية للسجون . كما عرج صاحب الفن الادبي على مسرحية « بيت الدمية » لابسن ، وابان اثرها الملموس في المرأة ومطالبتها بالحرية والمساواة .

ولم يفت الاستاذ السحرتي ، ان يتناول اثنين من كتاب المسرحية في مصر ، وهما نعمان عاشور في روايته « الناس اللي تحت » وما تحمل من هدف ، هو حب الكفاح لدى الجيل الحاضر ، ورشاد حجازي في روايته : « حورية من المريخ » التي يستهدف منها ايجاد التوافق في الاسرة ، وقبول التناقضات بروح سمحة ، وهذا هو الحوار اللطيف بين صديق الزوج الذي اجتوى عشرة زوجية وتركها ، ثم غفا ، فهبطت حورية وعاشرته . كانت تطيعه في كل شيء فاجتواها وتمنى العودة لزوجته . يقول صلاح لرفعت :

صلاح : شيء غريب ، يعني مش عاوز تكون في سلام دايما ، عايز شر.

رفعت : دايما . عاوز حرب اخرج منها منتصر .

عاوز يقابلني شر انغلب عليه بالحكمة ، او بالقوة ، هو ربنا خلق الطاعة والمعصية ليه أمال ، ما كان يخلق الطاعة وبس ، ويقفل جهنم بالشمع الاحمر .

صلاح : طيب يا سيدي

رفعت : مقاطعا بعنف ـ طيب ايه يا خويه ما تقولش طيب ، انا زهقت في البيت ده بقولك .

صلاح : لا باه اسمع اما اقلك ، انا مش الحورية بتاعتك .

رفعت : أعصابي ، هو انا بآلي اعصاب ، ونا متهيأ لي اني عايش في تلاجة ، ميت خلاص . اتوفيت !

هذا هو المحتوى الذي ينبغي ان يسود في كل نوع من انواع الادب ، وهو كما اسلفنا يختلف في أهميته ودرجته بحسب اثره وهدفه المصيب .

ولقد تناول الاستاذ السحرتي ، فن المقال ، وفن التراجم ، وهما وان كانا من انواع الادب التفسيري في الغالب ، الا ان كاتب المقال ، وكاتب الترجمة ، قد يصل بعمله الادبي الى درجة الخلق باندماجه في موضوعه اندماجا قويا ، واخراجه اخراجا فنيا بارعا ، غير تنويهه ببعض كتابنا الكبار في المقال والترجمة ، ونقده الفذ ، ولمساته الخفيفة لبعض ترجماتهم ، مما لا سبيل الى ضرب الامثال ، او ايراد الشواهد ، او حشد الصور المشوقة في الكتاب .

على ان الناقد الكبير ، لم يفته في بحوثه ، التعرض لفن التعريف بالكتب ، وعما يجب على كاتب التعريف من قراءة لكتاب المعرف به قراءة مستوعبة ، وبيان أهم فكراته ، والاتيان بفقرة دالة منه ، والبعد عن القدح فيه ، وعما تتبعه الصحف والمجلات في البلاد المتحضرة من تشكيل لجان لمراجعة ما يكتبه المختص في هذه الناحية .

وقد ألقى الاستاذ السحرتي ، اهتماما كبيرا على هذا البحث ، لما له من اثر في توجيه كتابنا « المعرفين » ، وتذكير صحافتنا الى المسئولية الخطيرة في نقد الكتب ، بل الى مسئولية اجهزة الثقافة التي تعنى بهذه الناحية ، وتقف منها موقف المفند الخبير .

وفي الحق ، ان الاستاذ السحرتي ، قد رسم خطوطا عريضة في هذا الكتاب ، لطائفة من الفنون الادبية ، قد تنفع الاديب البصير ، وتوضح المسلك لمن يريد ان يشق طريقه ، ويجد من نفسه الباعث ، ومن علمه الدافع ، نحو ثقافة افضل ، ومنهج سليم ، ودستور مرسوم ، يكفيه في وضع بنوده ، وتنسيق لائحته ، ناقد مصر الكبير : الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي .

القاهرة ابو طالب زيان

أنشـــودة الطريـــق

مجموعة شعرية ـ كمال نشأت ـ (لم يذكر الدكتور ماهر عدد الصفحات واسم المطبعة وسائر البيانات)

يعتبر ديوان « أنشوده الطريق » لكمال نشأت بعد ديوانه الاول « رياح وشموع » نقلة جديدة في تاريخ شاعرنا الادبي وهـي في نفس الوقت تأريخ لمرحلة مهمة من مراحل تطور شعرنا العربي الحديث متمثلة في هذا الديوان الجديد .

والقارىء لديوان « أنشودة الطريق » يجده يدور حول الشعـر العائلي وشعر الريف وان يكن للشعر الوطني وللشعر الغزلي حظهما الكبير غير ان الذي يمعن النظر يجد الشاعر عائليا حتى في وطنياته ريفيا حتى في غزلياته . ففي قصائده « من فدائي الى ابنته » و «ودعت ابي » و « عودة البطل » وحتى في قصيدته « نامت نهاد » التي بـدأ بها ديوانه لا يكافح الا من اجل ان يهيأ للجيل القادم ـ مصورا في ابنته ـ حياة اكثر خصوبة من تلك التي عاشها ، وهو في غزله يبني كوخه وسط خضرة الريف ويرى في عيني فتاته « حقولنا الخصيبة الفساح » .

وشعره العائلي ، يحتل جانبا كبيرا من ديوانه وهو ظاهرة جديدة بهذا المفهوم على شعرنا العربي ، فقصائده ترسم صـورة حية للحيـاة العائلية الهانئة حتى لا تكاد تفلت منه صورة وهو يحكي عن سحر الاسرة او ترابطها الروحي . فهو في قصيدة (العودة) مثلا يرسم هذه الصورة الماتعة للزوجة وهي تنتظر زوجها :

بيتـي اذا عـدت ارى مـا بـه   يهـش بـالايـنـاس والبهجـة
مـن قطـه المكـار يصحـو اذا   تبـين الاصـداء مـن خطوتـي
لسـاعـة الحائـط .. للمنحنـي   في الردهة الزرقاء .. للهـدأة
ارى حيـاتـي فيـه قـد لونـت   احلامهـا مـن قلـب محبوبتـي
فكفهـا قـد طـرزت عيشتـي   بالحـب والفرحـة والنعمـة
لا تطعـم الراحـة ان اخـرت   شـواغلي العـود الى « شقتي »
تجلـس فـي الردهـة مشغولـة   لهيفـة تنسـج بـالابـرة
تنسـج لـي هذا الصـدار الـذي   تذيـب فيـه اقـدس الحنـة
والقـط بـوسـي مـاسـح وجهـه   حينـا وحينـا نائـم اليقظـة
وعينهـا فـي سـاعـة علقـت   لتسـأل السـاعـة عـن أوبتـي
وسمعهـا للبـاب ان غـردت   أصابعـي طـارت الـى قبلتـي
فتضحـك الجـدران حتى اذا   اقفلـت ابوابـي عـلى جنتـي
جلسـت أحكـي كـل مـا سرنـي   وساءنـي منتفـض النشـوة
وزوجتـي تنصـت فـي غبطـة   قريـرة .. هانئـة النظـرة

وهي صورة فريدة في خطوطها الدقيقة التي تتجمع لتقدم هـذه اللوحة المتكاملة بالوانها الدافئة ، وهي الى جانب هذا الايقاع الهامس الحبيب تشي بالهدوء النفسي والسعادة العائلية وهي اولا واخيرا ثمرة عين فنان لاقطة عرفت كيف تختار الزوايا والابعاد وكيف تقدم ارضية الصورة بهذه التفصيلات الصغيرة الاليفة التي كونت نسيج القصيدة ، وهي الى رحابة رقعتها الشعرية واتساع مداها الشعوري الذي تومىء اليه تقف مناهضة لاحساس اخر مر بشاعرنا منذ سنوات حينما أحس بضياعه وسط المدينة الاكول .. وسط هذه الآلية التي تتسم بها حياة المدن ... وهو يرسم صورة للمدينة تحس فيها بجبروتها ووحشيتها :

مدينة كبيره
ذراعها سكين
وقلبها تنّين
وعينها كزهرة مـن دم

وهو بعد أن يرسم هذه الارضية للمدينة يتكىء على هذه الخطوط السريعة التي صورها بها ليخلص الى نفسه فيصورها داخل هـذه المدينة ...

أسير في دروبها
مويجة تتوه في خضم
فالمح الاسى
على السماء .. والنفوس .. والبيوت
والمس الملل

حتى النجوم التي تجمعها سماء المدينة قد حملت بعـض الوجـوم الذي يشيع فيها اما الساعة التي تدق من بعيد فكأنها القدر الـذي يصنع آلية الحياة في هذه المدينة ويلونها بلون الفردية والآلية التي تطحن الفرد .. ذلك الفرد الذي يحس بالضياع احساسا ضخما :

وفي السما نجوم
تذر فوقها المدينة الوجوم
ومن بعيد .. ساعة تدق
دقاتها الرتيبة :
« الثامنة ... الثامنة ... »
كانها تقول :
« يا ويل من يعيش في مدينتي الكبيره
ونفسه كسيره
وليس قربه حبيب ... »

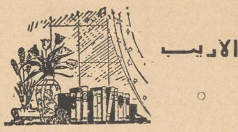
وهنا تصل ازمة الشعور بالوحدة والضياع الى منتهاها فالساعة التي تدق من بعيدٌ رمز لفم أخرس يشير الى معان بعيدة لا تحمل الا الرثاء لهذا الفتى الضائع الذي يعيش ازمة وجوده في هذه الغابـة الكثيفة دون قلب يعطف عليه ويلون امام عينيه الحياة .

والخط الفاصل بين التجربتين في القصيدتين خط حاسم ، لا لانه يفرق تجربتين مختلفتين ولكن لانه يضع فاصلا ـ فـي تاريخ تطور شاعرنا ـ فقصيدة « المدينة » مثال لنفسه القلقة المتوفرة قبل ان يجد مكانه في الحياة الزوجية التي عدلت مزاجه بعض الشيء فكانت هذه الالوان الاسرية التي تحمل التفاؤل والدفء والحب .

ومن هنا نستطيع ان نفسر شعره الريفي لا من خلال هذه التجربة الفردية التي عرضت له ولكن من خلال شمولها ونفاذها اللذين يقبعان وراء المظاهر الواقعية التي قد لا تعطي مضمونا متماسكا وان كانـت ـ في نفس الوقت ـ تشير الى ازمة معاناة الانسحاق وتقطع الروابط في المدينة . وشاعرنا سكندري المولد ، قاهري النشأة ، لم يعش في الريف ، وانما هو يعرف عن الريف بساطته وترابطه يعرف ان المرء في الريف يجد من يشاركه همومه ويعرف ان ساكن الريـف لا يحـس بالغربة والوحشة اللتين يحسهما ساكن المدينة الكبيرة التائه في دروبها. وفي قصيدته « عودة القافلة » نرى نفس القلق الذي يعانيه الشاعر ـ ساكن المدينة ـ كما نرى الاعياء الذي صرعه في طرقاتها فلا يرتد اليه أمنه الا في رحاب الريف . ومن هنا ايضا نستطيع تفسير الارتبـاط القوي بين الشعر الوطني والجو العائلي وبين الشعر الغزلي والصور الريفية . وقد استطاع الشاعر حقيقة ان يجيب على كثير من الاتهامات التي توجه للشعر الحر بديوانه هذا ، فهو اولا قد واجه اتهامـات النقاد للشعراء الذين اتخذوا هذا الشكل لهم بأنه مظهر يسير يستطيع كل شاعر ان ينظم فيه ، واجههم بقدرته على نظم الشعر التقليدي حتى ليتساوى عدد القصائد التي اتخذت الشكل المحافظ مع تلك التي انطلقت حرة ، فالشاعر قد بدأ حياته الشعرية بديوانه الاول «رياح وشموع» وهو يسير على النسق التقليدي في كل قصائده فتخيره اذن للشعـر الحر ليس عجزا وانما هو ملاءمة بين نفسيته وبين قالب التعبير الذي يراه اكثر رحابة ومواءمة ودقة .

وليس من شك في ان حركة الشعر الحر قد اثبتت ـ في السنوات الاخيرة ـ قدرتها على البقاء بعد ان ناشتها انياب المحافظين وما زلنا في مصر نطالع يوما بعد يوم اراء هؤلاء الادباء من شعراء ونقاد وهم

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر
يناير ، كانون الثاني

ندفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩ | Tél. Direct : 223819 Dle. : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

يتهكمون على الشعر الحر ورواده . وشاعرنا قد رد بشعره الريفي والعائلي على بعض هؤلاء النقاد الذين يعيبون على الشعراء الجدد تصويرهم بيئات غريبات عنا ولناخذ مثلا لاتجاهه هذا قصيدته « أحلام عذراء » :

كصفار حمام
تاهت في أفق البريه
كانت أحلامي الورديه
والناس نيام
في ليلة صيف قمريه
وانا في جلسة شباكي
ارنو لبعيد الافلاك
وألون افراح العرس
واغمغم : يا رب رجائي
فتنور بالبهجة نفسي
وأراه بعين الاحلام
كالبدر توشح بغمام
يختال فتى الخطوات
والشال يرف على كتفه
وتدق طبول
فتعانق أنغام الارغول
ويموج الدار
وتزغرد أمي مبهوره
وترش الملح على الزوار
وانا في الزفة عصفوره
طارت بجناح
وجناح نام على أسرار
ويقول الناس :
ما ابرعه في « البرجاس »
هو زين الفتية في القريه
فتفار من القول « امينة »
ويدق الطبل ويشجينا ...

وتمضي القصيدة بعد ذلك تصف هذه الاحاسيس التي يعرفها قلب العذراء في أهم ليلة تمر بعمرها . و « أحلام عذراء » قصيدة من عيون شعرنا المصري وهي بجانب اتجاهها المحلي الذي عرض صورا من ريفنا وعاداته المحلية وصور الحفل البسيط الذي يقيمه الريفيون في قرانا تستعلن باتجاهها الانساني .

وشاعرنا يخط بريشته الخطوط الاولى للمنظر الذي سيحيط بدقائق تجربته فلا يجد اجمل من صفار حمام تاهت في البرية ليعبر عن الاحلام الوردية الشاردة لفتاة الريف في ليلة من لياليه المقمرة الساجية . وهي ليلة « صيف قمرية » لانها من الليالي التي تغري بالسهر وتطلق الاحلام اما ليالي الشتاء فتغري بالنعاس والدفء وتطفيء الخيال ثم هو ينطلق وراء خيال الفتاة ويتتبع خطوات امانيها فيبرز ملامح الصورة في شخص رجل أحلامها فتى القرية وهو يختال فتي الخطوات والشال على كتفه كالبدر الذي تراه ويطلق أحلامها ترعى ولكنها لا تراه بعين الحقيقة فقد توشح بغمام الخيال لانه فتى لا يوجد حقيقة وانما هو جماع الصور المتخيلة لفتى ريفي مرموق كما تتخيله امنيات فتاة قروية تستعير مفاهيم الزوج الكامل من بيئتها المحلية . وتكتمل الصورة بدقات الطبول .. طبول العرس وهي تعانق أنغام الارغول وتتعالى الزغاريد ويموج الدار بالزوار وتقف أمها وسط الجمع الحافل وهي ترش الملح اتقاء الحسد وتلك عادة مصرية من تقاليد ريفنا ولا تنسى الفتاة هنا تيهها بهذا الزوج وهذا الحفل واثـر كل هذا في نفس « امينة » زميلتها وهي ترى بعين الغيرة حياتها المقبلة في ظل هذا الزوج الذي يجمع صفات الرجولة الكاملة في عرف القرية .

وهكذا نرى في هذه القصيدة وهي مثل لشعر كمال نشات الريفي كيف استطاع النجاح في لون نفتقده كثيرا . ان ديوان « أنشودة الطريق » لشاعرنا الموهوب كمال نشات نقلة جديدة في حياته الشعرية وفي حياة الشعر المصري ، والمجال يطول بنا ان أحببنا الاشارة الى قصائد له جهيرة مثل « نامت نهاد » و « قافلة الفجر » و « جزر هاواي » و « سوزانا » و « عمي » و « ذكريات القرية » و « اطفال القرية » وغيرها من شعره المعجب .

جامعة عين شمس
ماهر حسن فهمي
مدرس الادب العربي بكلية البنات



• روسو : حياته ، فلسفته ، منتخبات – تاليف اندريه كريسون – ترجمة نبيه صقر – ١٦٠ صفحة – منشورات عويدات بيروت – مطبعة قلفاط بيروت .

• باسكال : حياته ، فلسفته ، منتخبات – تاليف اندريه كريسون – ترجمة نهاد رضا – ١٥٢ صفحة – منشورات عويدات بيروت – مطابع ستاركو بيروت .

• برغسون : حياته ، فلسفته ، منتخبات – تاليف اندريه كريسون – ترجمة نبيه صقر – ١٦٨ صفحة – منشورات عويدات بيروت – مطبعة قلفاط بيروت .

• الروائع الدفينة للشاعر الزجلي الموهوب ابي علي حنينه البكاسيني ١٧٧٥/١٨٤٥ – تاليف جرجي ابراهيم نصر – ١٦ صفحة حجم كبير – (لم يذكر اسم المطبعة) .

• نهر .. من الشمال – مجموعة قصص – تاليف جان الكسان – الغلاف بريشة الياس خريستو – الخطوط بريشة محمد قنوع – ١٢٨ صفحة (لم يذكر اسم المطبعة) .

• الوميض – مجموعة شعرية – فخري الشيخ محمود العبيدي – تقديم حمدي علي المهدي – ١٣٠ صفحة – مطبعة سليمان الاعظمي (؟)

• بدوي الجبل : حياته وشعره . مع منتخبات من قصائده – تاليف محمد الخطيب – ١٨٦ صفحة – مطابع ابن زيدون بدمشق .

• حلم ليلة تعب – مجموعة قصص – تاليف بدر نشات – الرسوم بريشة مصطفى حسين – ١٦٠ صفحة – مطبعة التعاون الشرقي (؟)

• حول الفن الحديث – تاليف جورج فلاناجان – ترجمة وتقديم كمال الملاخ – مراجعة صلاح طاهر – ٣٦٠ صفحة – مع صور – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر .

• نجوم لا تحصى – مجموعة قصص – تاليف فاضل السباعي – ١١٢ صفحة – منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت – مطابع دار مكتبة الحياة بيروت .

• اللحن الخالد – مجموعة شعرية – نادر نظام – تقديم الدكتور ابراهيم الكيلاني – مصمم الغلاف ايلي هواويني – ١٢٨ صفحة – مطبعة كرم (؟)

• رواد الاستراتيجية الحديثة – تاليف ادوارد ميد ايرل واخرين – ترجمة وتقديم العميد اركان الحرب محمد عبد الفتاح ابراهيم – مصمم الغلاف كمال الملاخ – ٤٨٠ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مطبعة مصر بالقاهرة .

• تعال معي الى ... مركز المطافىء – تاليف نومي بوكهيمر – ترجمة حسين صادق محمد – مراجعة وتقديم احمد زكي محمد – ٥٦ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مؤسسة طباعة الالوان المتحدة (؟)

• دنيا العلم العجيبة – تاليف ماي وايرا فريمان – ترجمة عواطف عبد الجليل – مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي – ٨٤ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة.

• الخيط الحق : قصة كفاح معلم – تاليف جيس ستيوارت – ترجمة فاطمة محجوب – مراجعة وتقديم احمد زكي محمد – مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي – ٣٢٠ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – مؤسسة طباعة الالوان المتحدة بالقاهرة .

• دنيا الحشرات – تاليف فرديناند لين – ترجمة الدكتور احمد عماد الدين ابو النصر – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١١٦ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة.

• الطيور – تاليف روبرت لن – ترجمة الدكتور مصطفى بدران – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٠٨ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

• البراكين والزلازل – تاليف فردريك ه. بو – ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان – مراجعة الدكتور نصري متري شكري – مصمم الغلاف ايهاب شاكر – ١٢٨ صفحة – مصور – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك – منشورات دار المعارف بمصر القاهرة – مطابع دار المعارف بمصر القاهرة .

• الخيال الشعري عند العرب – تاليف ابو القاسم الشابي – تقديم زين العابدين السنوسي – ١٤٤ صفحة – منشورات الشركة القومية للنشر والتوزيع في تونس – طبع الشركة التونسية لفنون الرسم (؟)

• الباجي المسعودي – تقديم محسن بنحميدة – ٨٨ صفحة – سلسلة ادباء المغرب العربي – منشورات الشركة القومية للنشر والتوزيع في تونس – (لم يذكر اسم المطبعة) .

• الفكر الاسلامي بين الامس واليوم – تاليف محجوب بن ميلاد – ٣٠٦ صفحة – منشورات الشركة القومية للنشر والتوزيع في تونس – مطبعة جريدة « لا بريس » بتونس .

• Origins of Nationalism in Tunisia — by Nicola A. Ziadeh, professor of Modern Arab History in The American University of Beirut — 172 pages — published by the Faculty of Arts and Sciences American University of Beirut — printed by Imprimerie Catholique à Beyrouth.

• Dag Hammerskjold and Crisis Diplomacy — by Richard I. Miller — 320 pages — Pyramid Books, New York.

• Michelson and the Speed of Light — by Bernard Jaffe — Illustrations by R. Paul Larkin — 160 pages — Pyramid Books, New York.

• Writing In America — by John Fischer and Robert B. Silvers — 160 pages — Pyramid Books, New York.

• The Genius of America — by Saul K. Padover — 384 pages — Pyramid Books, New York.

في كلمات ...

● لاول مرة في تاريخ الجراحة ، اعاد الجراحون ساعدا مقطوعا الى مكانه . فقد مر القطار على الفلام افريت نوليس (١٢ سنة) قرب بوسطن في الولايات المتحدة ، وقطع له ساعده . وعلى الاثر نقل الفلام الى المستشفى مع الساعد ، حيث اشتغل ستة جراحين مدة ست ساعات في قطب الساعد من جديد ونجحت العملية .

● استخدمت نبتة معمرة في القفقاس هي « الاينيام » (بطاطة صينية) مادة اولية لعلاج سوفياتي جديد « الاينيامين » . والدواء اخضع لتجارب عديدة في المؤسسات الطبية السوفياتية ، انه وسيلة جيدة لمعالجة تصلب شرايين الدماغ . وقد اذنت وزارة الصحة العامة السوفياتية باستخدام العلاج الجديد.

● قامت مختبرات غلاكسو البريطانية بتطوير نوع جديد من اللقاح يقي ضد اربعة امراض ، هي شلل الاطفال والدفتريا (الخناق) والكزاز والسعال الديكي . وقد دلت تجارب اجريت على ٤٤ ولدا على نجاح تام ويظن انه بالامكان اضافة لقاحات ايضا ضد عدد من الامراض الاخرى .

● تبين من قياس كهربائية الدماغ بان الانسان السليم يحلم اثناء رقاده في كل ليلة، ما بين ستة وسبعة احلام . فاذا ما اوقظ الشخص في كل مرة عند ابتدائه برؤية حلم فانه يصاب بعد ايام قليلة باضطرابات عصبية. اما اذا اوقظ الانسان من رقاده بعد انتهائه من حلمه فان وضعه يبقى طبيعيا . ويستدل بذلك على ان الاحلام هي بمثابة العامل المخفف عن نفس الانسان فاذا ما اعترض طريقها ظهرت لدى الانسان الاضطرابات العصبية .

● شرعت المؤسسات التخصصية في منطقة تامبوف (وسط روسيا الاتحادية) بانتاج مكثفات من فيتامينات الصنوبر . ان اغصان الصنوبر تقطع وتعالج في حرارة ٧٠٠ درجة مئوية وتحول الى دقيق بلون التراب . والمزارعون يسمون هذا الدقيق « الدقيق الحرجي » . وهو يحتوي كمية كبرى من فيتامين «ج» والجزرين ومواد غذائية اخرى . ان اضافة هذا الدقيق الى الاغذية المخلوطة يساهم في نمو الحيوانات السريع .

● القت الدكتورة اليانور ميرز السكرتيرة الطبية لرابطة شؤون العائلة في بريطانيا محاضرة في مؤتمر عقدته الرابطة قالت فيها : للمرة الاولى تتوفر لدينا وسيلة لمنع الحمل بفضل صنع حبوب جديدة خاصة هي اكثر فعالية من اي عقار عرف من هذا النوع حتى اليوم . لقد كانت الرابطة تسمح باستخدام ثلاثة انواع من الحبوب . واما الان فقد غدا لديها نوع جديد من حبوب تؤخذ عن طريق الفم . وتجري عليها تجارب واسعة النطاق في عيادتين طبيتين لندنيتين . ومن المنتظر ان تنشر حول اواخر هذا العام المعلومات النهائية عن خصائصها وميزاتها . وحتى الان جرت تجربتها تحت اشراف دقيق في ٣٦ عيادة على النساء فقط . ولكن تجري ايضا هذه التجربة على رجلين بالاضافة الى اجرائها على الف امرأة .

● نشر حديث في مجلة « لانسيت » الطبية البريطانية عنوانه : هل يمكن ان نكون متأكدين بصورة معقولة على اقل تعديل من ان تناول حبوب منع الحمل خلال سنوات عن طريق الفم امر مضمون النتائج لا يؤذي ولا يضر ؟ ولقد تساءلت المجلة هذا التساؤل بعد ان وافق المؤتمر الذي عقدته الرابطة النسائية في بريطانيا على استعمال مثل هذه الحبوب .

وتقول المجلة : يجب الان ان نسلم بفكرة امكان حدوث اضرار من مثل هذه الحبوب لذلك يجب ان نحسب حسابا للضرر ونضعه الى جانب النفع الذي قد يكون لمنع الحمل .

وقالت « لانسيت » : لا نعرف شيئا الان عن نتائج اضرار الحبوب المذكورة التي استخدمت في بلدان مزدحمة بالسكان ، وعلى كل حال لقد ظهرت بعض حوادث العقم لدى الحيوانات التي جرت عليها التجارب كما ظهرت عوارض جسدية اخرى منها بعض حادثات مجهولة قد تكون انواعا من السرطان.

● الـ « بوليفينال » بديل جديد للدم استحصله معهد الابحاث العلمية في موسكو لنقل الدم . ان البوليفينال عندما يدخل الى جهاز المريض العضوي يضمن عمل القلب ويجدد تركيب الدم . وهذا المستحضر الجديد يمكن حفظه مدة طويلة .

● اذا ارق المرء في احدى الليالي ولم يستطع النوم فان ذلك لا يعد مشكلة كما يعتقد بعض الناس . فقد اجرى احد علماء النفس في بريطانيا اختبارا على عدد من الاشخاص لمعرفة تأثير الارق فيهم . وقد جلس هؤلاء في مواجهة لوحة تحتوي على خمس لمبات كهربائية وطلب منهم القيام بحركة تدل على استجابتهم كلما اضيئت احدى هذه اللمبات . وكلما مر الليل بتثاقل قل عدد الذين كانوا يستجيبون لاضواء اللمبات ، كما اتضح ان بعض الذين اضناهم الارق لم يستجيبوا للاشارات الضوئية الا في فترات طويلة متقطعة . وقد تبين من نتيجة هذا الاختبار ان البعض قد اثر فيهم الارق وبدا عليهم الاعياء بينما البعض الاخر لم يؤثر فيهم الارق مطلقا . ومثل هذه التجربة مفيدة في تصميم لوحات الاضواء واجهزة المراقبة وفي تنظيم اوقات العمل في الليل والنهار .

● ستجري في خريف هذا العام في بريطانيا ابحاث علمية دقيقة للتحقق مما اذا كان للاصباغ التي تستعمل في احمر الشفاه من ضرر . هذا ما اعلنه المستر فريث ، السكرتير البرلماني لوزير العلوم ، ردا على احد الاسئلة . وقال ان هذا التحقيق ستقوم به جمعية الابحاث البيولوجية الصناعية البريطانية ، وستسهم فيه عدة شركات كبرى تعنى بصناعة الاغذية والكيماويات والبلاستيك والمساحيق .

● عالج ايساي ليفشتز طبيب الفم والاسنان في فلاديفوستوك ثلاثين الف مريض . وتعد احدى عملياته بالغة الاهمية ، اذ نجح في ترميم لسان المريض فكتور فياتكوفسكي . عندما كان فكتور يشد جرارة ميكانيكية بمقطورة فقد توازنه وسقط ارضا ، وعلق رأسه بين المصدين . وعندما هرع الى نجدته كان قد فقد وعيه ، واقتلعت الصدمة لسانه من قرب الجذر . وارسل المصاب الى المستشفى فورا . فصنع له ايساي ليفشتز لسانا جديدا قوامه من بطن المصاب . وبعد ذلك اجرى العملية الحاسمة ، نقل القوام الى المنطقة الفموية . وعندما التحم « القوام » حضر الطبيب « الهيكل » وهو نموذج مشابه للسان . وبعد مدة من الزمن اخذ فكتور فياتكوفسكي يتكلم ، واخذ كلامه يصير واضحا شيئا فشيئا .

● ابتكر السوفييت جهاز تلفزيون ملون لمشاهدة العمليات الجراحية ، يتيح وضع كاميرا البث خارج غرفة العمليات ، وتشغيلها من بعيد . وهذا الجهاز بالاضافة الى استخدامه في الطب يسهل استخدام التلفزة الملونة في الصناعة ولا سيما خلال مراقبة صب المعدن في الافران وقد أجريت التجارب الاولى على هذا النموذج في مصنع ايجورا .

● ورق التوت والبصل الاخضر والفول الاخضر علاج لمرضى السكر . الدكتور عبد العزيز شرف رئيس وحدة الاقربازين بالمركز القومي للبحوث في القاهرة ينصحك بتناول الانواع الثلاثة بكثرة . فقد اثبتت الابحاث التي اجرتها وحدة الاقربازين ان ماء ورق التوت المغلي يفيدك في علاج مرض السكر كغذاء دوائي فيه فيتامينات كما يضم نسبا من الانسولين الذي يقلل نسبة السكر . لقد اجرى الدكتور عبد العزيز شرف ابحاثه على البصل الاخضر والفول الاخضر واكدت

الابحاث التي اجراها على الفئران بعد حقنها بالسكر الصناعي . ثم اعطاها عينات من الفول الاخضر والبصل الاخضر وماء ورق التوت المغلي . فقلت نسبة السكر الموجودة . وفي نفس الوقت ادت الى نمو الفئران وزيادة وزنها . ويقول الدكتور شرف ان انواع الخضر الثلاثة تعتبر غذاء دوائيا يمكن معها الاقلال من تناول جرعات الانسولين اليومية لمرضى السكر. وتجري ابحاثه الان لتركيز المادة الفعالة في النباتات الثلاثة لتكون علاجا للمرضى . وسيذيع بحثه الذي استمر سنة كاملة في مؤتمر السكر الدولي المقرر عقده في لندن في سبتمبر القادم .

● يعقد في لندن في منتصف يوليو مؤتمر دولي لصحة الحوامل .

● قدم اثنان من العلماء السوفيات في المؤتمر الدولي لعلوم الفضاء نظرية جديدة تقول ان السفر في الفضاء قد يغير النظم الوراثية للانسان وكذلك مجرى التطور البشري . قالا ان تغييرات وراثية طرأت فعلا على البذور التي وضعت في مدارات حول الارض لفترات تتراوح بين ٩٠ دقيقة و ٢٤ ساعة ، وهذه التغييرات ليس سببها الاشعاع، لان المدارات كانت في مستوى اقل من مستوى الحزام الاشعاعي حول الارض .

● صرح الدكتور ايوين كاميرون استاذ علم النفس في جامعة مونتريال (تورنتو) بأن رجال الابحاث النفسية استطاعوا تقوية ذاكرة الكهول بحقنهم بمادة كيماوية مستخرجة من خميرة البيرة ، واطلق على هذه المادة اسم « حامض الريبونوكليك » .

● اكتشفت الموجات الصوتية التي هي ما فوق طاقة سمع الاذن البشرية منذ حوالي عشر سنوات ، ولكنها دخلت الان في عدة استعمالات طبية وصناعية . ففي الحقل الطبي وجد رجال الابحاث ان الاصوات ما فوق السمع يمكن استخدامها في معالجة الوتاب والروماتزم وعرق النسا وبعض انواع العصبي البسيطة (ارثر ايتس) . وفي اوائل الخمسينات اكتشف العلماء ان هذه الوسيلة يمكن استخدامها كآلة جراحية لتدمير الانسجة الدماغية المصابة بامراض او لدق وتفتيت الحصى في الكلية . والان اكتشف ايضا ان الانسجة الليفية القاسية التي تخلفها الجروح يمكن تليينها او حتى ازالتها بواسطة موجات ما فوق السمع . كما استعان بها اطباء الاسنان كوسيلة لحفر الاسنان ألمها اقل من الم الحفارات العادية . وقد ادخلت هذه الوسيلة في طب الاسنان عام ١٩٥٤ .

● ظهرت في امريكا آلة تخطيط جديدة للدماغ بواسطة مجموعة من الخطوط المتعرجة ، على صفحة طويلة من الورق ، تمثل التبديلات في المجرى الكهربائي في الدماغ ، يمكن الحصول على ارشادات قيمة تساعد على عملية التشخيص . ففي تشخيص داء الصرع، يمكن للالة ان تخبر فيما اذا كان المصاب يعاني من صدمة بسيطة او ان هناك ورما خبيثا قد تمكن . وتستطيع آلة التخطيط هذه ان تميز بين الاصابات التي مرجعها اسبابا نفسية ، وبين تلك التي مرجعها امورا عضوية . ان الاشخاص المشرفين على استعمال هذه الالة يجب ان يكونوا على مستوى عال من المهارة . والالة نفسها يجب ان توضع في غرفة خاصة بها ، مكسوة كلها بطبقة من النحاس . ووظيفة هذه الطبقة المنتشرة على السقف والجدران والارض امتصاص الموجات اللاسلكية المنتشرة في الهواء ، وتسهل امام الالة عملية التقاط اخف الاشارات الصادرة عن الدماغ. وهذه الاشارات الدقيقة الصادرة عن عشرين او اكثر عن السماعات المبثوثة حوالي الراس تسجلها اقلام خاصة بكل تغييراتها على لوحة خاصة متحركة . وكثيرا ما يستعمل التنبيه الصناعي لاثارة الدماغ عندما تكون هناك حاجة للنشاط المضبوط لتسهيل عملية دراسة التوعكات الدماغية .

● صمم العالم السوفياتي ميخائيل ليفانوف

وبالاشتراك مع المهندس انانييف جهازا معروفا باسم «تلفزيون الدماغ». وبواسطة هذا الجهاز نستطيع ان نرى على شاشة صغيرة في اية اجزاء من الدماغ تظهر الظاهرات البيوكهربائية. وقد استخدمت مؤخرا لاجل تحقيق نقل هذه التيارات البيولوجية، حاسبات الكترونية، مما اتاح الكشف عن كثير من الظاهرات الهامة، ومنها تحديد قطاعات الدماغ التي تعمل في آن واحد تحت تاثير عوامل محرضة مختلفة، اثناء التذكر، واثناء حل المسائل الرياضية.

● تمكن العلماء في استراليا من صنع زبدة على شكل مسحوق ينتظر ان يلاقي رواجا في البلدان الحارة لان الزبدة التي تصنع منه لا تذوب في الطقس الحار. ولا يمكن تحويل المسحوق الى زبدة بمجرد تذويبه بالماء، ولكن بما انه يمتزج بسهولة ببعض المواد الاخرى، فان في الامكان استعماله في صنع المثلجات والصلصة، واستخدامه كدهن للقلي. ومسحوق الزبدة ليس ارخص من الزبدة العادية، ولكنه يحتوي على كمية اكبر من البروتين والمعادن.

● الخلايا هي اصغر قسيمات الجهاز العضوي الحي، ونوع من جزيئات الحياة. والخلايا بالرغم من مقاييسها المجهرية، تتمثل في منظومة معقدة، وتشبه مدينة فيها العديد من معامل معالجة المواد الاولية، مع كومبينات ضخمة للبناء، قادرة على ان تشيد بسرعة ودقة مدنا جديدة. لقد ذكر غليب فرانك، عضو اكاديمية العلوم السوفياتية عن «قيادة» هذه العمليات التي تجري في الخلية، فاشار الى ان هناك آلية في قيادة الخلية مولجة فقط بالحفاظ على بنيتها سليمة. والالية الاخرى تسهر على تغيرات الظروف الخارجية. وعند لحظة خطرة بالنسبة لحياة الخلية، تعبىء هذه الالية الاحتياطيات الداخلية لطاقة الخلية وتطلقها الى القطاع الذي بحاجة اليها. ومن المهم الاشارة الى ان جميع هذه العملية المعقدة تجري على مستوى معروف بالمستوى الجزيئي، أي باشتراك الجزيئات واحيانا في حدودها.

● من اعاجيب الجسم البشري، ما حدث للفلام مارك وايك (٥ سنوات) من جنوب لندن. فقد كان مارك ابرص، يغشي الكلف والنمش وجهه كله. وقد سقطت صاعقة على بيته، فاصابت جدار غرفته وخرقت فيه ثغرة ففقد مارك وعيه من شدة الخوف. ولما سارع والداه اليه، كانت دهشتهما عظيمة عندما رأيا ان النمش قد اختفى كله، وبدا وجه مارك ابيض ناصعا دون اي اثر عليه. ويعتقد الاطباء ان مفعول الانفجار الكهربائي الذي تسببه الصاعقة، هو الذي مسح النمش على هذا الشكل، مما فتح امام العالم بابا جديدا للدراسة.

● ارتفعت نسبة الاطفال الذين يولدون مشوهين في المانيا الاتحادية ارتفاعا كبيرا منذ عام ١٩٥٨. فبينما تصل نسبة الاطفال الذين يولدون بعاهات الى ٥ في الالف في المانيا الاتحادية اليوم، نجد بانها كانت تصل فيها قبل بضعة اعوام، وفي البلدان المجاورة لها حاليا، الى خمسة من مائة الف وليد. وقد وصف الخبراء في جلسة الربيع التي عقدها اتحاد اطباء الاطفال اخيرا في مدينة مونستر هذه الظاهرة بانها وبائية. وقد افاد البروفسور فايكر رئيس اطباء مستشفى الاطفال في بون، بان ارتفاع عدد هؤلاء الاطفال يحدث في اقليم ريناينا – وستفاليا بصورة خاصة. فقد وصلت نسبة الاطفال المشوهين الذين ادخلوا في مستشفى الاطفال في بون عام ١٩٦١ خمسة في الالف. ويعتقد فايكر بان السبب الرئيسي يعود في ذلك الى استخدام منوم «الكونترجان» الذي حظر استخدامه قبل وقت قريب.

● اخر مبتكرات مستشفى المساعدات النسائية في مونتيفور آلة تصوير زايس التي تستطيع ان تلتقط صورة خلفية من داخل العين. هذه الالة تسهل الحصول على صور واضحة مفصلة للقسم الخلفي من العين المعروف بـ (فوندوس) او قعر العين. ويعتقد الدكتور صموئيل جارتنر رئيس المعاينة في قسم العيون في المستشفى المذكور، ان العين شديدة الحساسية وتتاثر بالتوعكات التي تطرأ على الجسم ويمكن ان تستخدم كوسيلة ذات أهمية في تشخيص عدد من الامراض. في الصورة التي تلتقطها هذه الالة التصويرية يظهر القسم الخلفي من العين بكل وضوح وتفصيل وبالالوان الحقيقية كما وان الاوعية الدموية والدورة الدموية تظهران بوضوح

● دعا علماء ايطاليا اخيرا نحو ٧٢ عجوزا من الجنسين، ممن تزيد اعمارهم على ١٠٠ سنة، لاجراء بعض الابحاث البيولوجية عليهم، منها بحث عن علاقة التدخين بعمر الانسان، واخر عن سر التجعد في الوجه في السنوات الاخيرة من العمر، وثالث عن تاثير الحياة الزوجية السعيدة في حياة الانسان، ورابع عن سر الحياة الطويلة والعوامل المؤثرة فيها. وقد دلت الابحاث الاولى على ان المعمرين يدخنون حتى النساء منهم، وياكلون بشراهة، ويشربون الخمر! وقد نزل المعمرون ضيوفا على المركز الايطالي للابحاث البيولوجية.

● العالم بيتر سوبيكوف من سوفخوز «بولشفيك» بمنطقة لينينغراد هو اول من حصل عن طريق الحضن على نوع جديد من الدجاج بنقل دم دجاج استرالي – اوروبي الى دجاج ليفورن. وحصل كذلك على تبدلات وراثية. وتزن الدجاجة الجديدة ٤ كيلو ويتجاوز مردودها في السنة الاولى ٢٠٠ بيضة. وتزن البيضة ٨٥ غراما. وهذا الدجاج يقاوم الامراض مقاومة تامة. وفي هذا العام يكون لدى سوفخوز «بولشفيك» ١٦ الف دجاجة من هذا النوع.

● في دورة للمجلس العلمي في معهد الابحاث النووية الموحد قدم العالم السوفياتي ي. بروكوشكين ومساعدوه براهين تجريبية على وجود شكل لا يزال مجهولا من اشكال التفكك الذري. في هذه الحال النادرة يتفكك قسيم نووي ذو شحنة ايجابية هو الـ «بي – ميزون» الى بي – ميزون محايد وبوزيترون ونوترينو. وانتهت سلسلة من التجارب باكتشاف يفتح الطريق لوضع قانون لتفكك القسيمات البسيطة.

● افتتح في لندن معرض الاجهزة الالية والالكترونية عرضت فيه مجموعة كبيرة من الاجهزة الالكترونية والالات الاوتوماتيكية، وكان من بين الاجهزة المعروضة جهاز يستطيع اطلاق النبضات الالكترونية بسرعة جزء واحد من الف مليون من الثانية. ويستخدم هذا الجهاز في محطات الطاقة الكهربائية ويمكن تركيبه في عداد الكتروني لادارة المحطة الكهربائية. وباستطاعة هذا الجهاز ايضا ان ينبه قائد الطائرة عن أي خلل قد يطرأ على محركات طائرته.

● قامت مؤسسة الفولاذ والصلب البريطانية بتطوير نوع جديد من الفولاذ مطلي بالالومنيوم يفوق بكثير الاصناف المعروفة. فهو لا يتأكل بسهولة وصلب للغاية ومنظره جميل.

● استطاع حداد اسكتلندي ان يجد حلا لمشكلة صوت خرير المياه الذي يقلق راحة نزلاء الفنادق والمستشفيات ويحرمهم من النوم عند ملء البراميل او الخزانات. فقد صنع طابة عوامة كاتمة للصوت يمكن تركيبها بسهولة على أي برميل او خزان. والمعروف ان الطابة العوامة العادية تسمح بتسرب الهواء في الماء مما يحدث فقاقيع هوائية هي التي تسبب الصوت. اما الطابة الجديدة فتحول دون ذلك اذ لها صمامات تضبط تدفق الماء دون احداث صوت.

● انتهى العلماء السوفيات من اعداد التصميم التقريبي لبرج يبلغ ارتفاعه ميلا وربع الميل اي ستة اضعاف ارتفاع برج ايفل في باريس يمكن استخدامه كبرج لبث الاذاعات

التلفزيونية ويتمتع بقوة بث ذات مدى بعيد .

● المغطاس الجديد الذي صنعه العالم السوفياتي كونستانتينوف لا يسمح للرجال الضفادع بالبقاء في الماء على عمق معين فقط بل وبالتنقل في الاتجاه المطلوب والجهاز مزود ببوصلة مائية وجهاز لقياس العمق يوضح الطريق المجتازة والمرسومة .

● مخزن اوتوماتيكي فريد عرضته شركة بريطانية لصنع الطائرات في معرض المعدات الميكانيكية في لندن . وثمة حزامات تعمل بصورة اوتوماتيكية تنقل البضائع وتصففها على الرفوف ، كما تقوم آلة خاصة الكترونية بتحضير الفواتير ولصق تمغة السعر على السلع وغير ذلك من الاعمال .

● صنعت معامل بريطانية في ميدلسكس نموذجا جديدا لكاميرا تلفزيونية خفيفة الوزن جدا ويمكن ان تعمل بصورة ممتازة بواسطة بطارية سيارة تحملها ولا تزن سوى ٥ كيلو وبامكانها ان تعطي المشاهد على جانب كبير من الوضوح ولا تحتاج الى شيء سوى قوة كهربائية عادية .

● قامت احدى شركات الصناعات الكهربائية بعرض اكبر واصغر لوحات التلفزيون من نوعها في معرض هانوفر بالمانيا . فقد قدمت بين لعب الاطفال جهاز تلفزيون بلوحة عرض لا يزيد طول قطرها المنصف عن ٥ سنتيمتر ، وعرضت جهازا يسمى ب «الايدوفون» يستطيع تكبير الصور المعروضة على لوحة التلفزيون العادية ويجعلها من حجم ٧×١٠ امتار . ويصلح هذا الجهاز لاستخدامه في تكبير صور الجراحات المنقولة بواسطة التلفزيون الى قاعات المحاضرات .

● بدأت العمل اخيرا في غلوستر في غرب انكلترا ، آلة اوتوماتيكية تستطيع انتاج ٩٠ الف غالون من البوظة (جيلاته) يوميا لتزود حوالي ٢٥ مليون نسمة . وتشمل هذه الالة دماغ ضبط الكتروني يحوي معلومات حول ٦٩ وصفة . وقد قامت هذه الالة في العام الماضي بالعمل بموجب برنامج محدود وانتجت ما قيمته ١٩٠ الف جنيه استرليني من البوظة (جيلاته) صدرت الى مختلف البلدان .

● صنع في بريطانيا نوع جديد من الالات تستطيع ان تقتلع الاشجار التي علوها ١٤ مترا لكي يعاد غرسها في اماكن اخرى دون ايذاء الاشجار . وتستخدم هذه الالات الان لتجميل المدن ومجموعات المنازل الجديدة التي يقوم مجلس الاسكان البريطاني ببنائها في مختلف انحاء البلاد . وقبل كل شيء تحفر حفرة دائرية تبعد مسافة مترين عن اصل الشجرة وقاعدتها لكي يتم قطع الجذور ثم تقتلع الشجرة وتوضع على جرارة تنقلها الى حيث يراد غرسها من جديد .

● صنعت القيادة الامريكية سيارة نموذجية، ميزاتها انها تدرج وتطير وتسبح في آن واحد. فهي تسير على عجلات كأية سيارة عادية . وعندما تريد الطيران ، تدور مروحة في بطنها، فتولد « مخدة » من الهواء تحلق عليها السيارة عموديا وتطير عندئذ كالطيارة ، وعندما تتحول الى زورق ، يكفي ان يضغط السائق على زر ، فيهبط من جانبيها « زعنفان » تطفو بهما على سطح الماء .

● تستخدم في انتاج الياف الكابرون (النيلون السوفياتي) في الاتحاد السوفياتي منشآت تعمل على الطاقة الشمسية . والقسم الرئيسي من المنشآة مرآة كبيرة تدور اوتوماتيكيا وفق حركة الشمس وتعكس احزمة الاشعة الشمسية في مفاعل كيميائي حيث تولد الياف الكابرون . وتوضع في جنوب البلاد مشاريع محطات كهربائية شمسية جبارة لتحويل الطاقة الشمسية الى طاقة كهربائية .

● شوهدت في معرض الادوات الالكترونية والاوتوماتيكية بلندن ، آلة جديدة يمكن بها اعداد الكتب للمكفوفين وترجمتها بسرعة بالغة . وتعمل هذه الالة على اساس الاستعاضة عن الحروف بخطوط من النقط الصغيرة . ويوضع الشريط الذي تطبع فوقه هذه النقط في عداد خاص لهذا الغرض . ومن المنتظر ان تستخدم هذه الالة في مركز بلندن لتدريب المكفوفين على اعمال الطباعة والاختزال وبدالات التلفون .

● عرضت في معرض هانوفر بالمانيا اكبر رافعة متنقلة من نوعها في العالم تسير على عجلات من المطاط . وهي تستطيع رفع ما ثقله ٩.٤٥ طنا ، أي ما يعادل وزن قاطرة او مائة سيارة متوسطة الحجم . ويمكن تزويدها بساعد للرفع يبلغ طوله ٧٦،٤٣ مترا فترتفع به الاثقال الى هذا العلو .

● سر الاصباغ القديمة التي استخدمها الفنانون الشرقيون في العصر الوسيط لتلوين المخطوطات اكتشفه المؤرخ الاذربيجاني عادل كازييف . ان مبحثا للشاعر والرسام الاذربيجاني في القرنين ١٦ و ١٧ صادق بك افشر ، ساعد على اكتناه سر هذه الاصباغ التي لا تتغير . وقد اكتشف كازييف لدى تفسيره العبارات المستخدمة في هذا البحث طرائق ونسق استخدام الاصباغ في الرسم. لقد عثر على اسرار كانت تعتبر مفقودة الى الابد . وهي ذات أهمية كبرى بالنسبة للفن التصويري الحديث .

● النبأ القائل بان العالم السوفياتي تيموفييف تمكن من ان يكتشف في نيزك ميغي الحجري نشوءات تشبه البوغات ورواسب مجهرية متناثرة ذات منشأ عضوي اثار اهتماما شديدا في العالم العلمي . وقال غينادي فدوفيكين من معهد الابحاث في الغازات الطبيعية في موسكو ان النيزك الحجري الذي يدور الحديث عنه سقط في ٢١ يونيو ١٨٨٩ قرب قرية ميغي (منطقة اوديسا في اوكرانيا). والنيزك من المتحجرات الكربونية التي تستدعي انتباه علماء العالم منذ زمن بعيد . بيد ان طرائق الابحاث القديمة لم تكن لتسمح باكتشاف مركبات عضوية في النيازك . اما الان فقد اثبت علماء روسيا وامريكا وانكلترا والمجر ونيوزيلندا ان في بعض النيازك مركبات عضوية بسيطة هي مائية (هيدرات) الكربون . ولدى دراستي عام ١٩٦٠ نيزكي ميغي وغروزنايا وغيرهما تمكنت ايضا من ان أبرهن على انها مركبات تشبه المركبات العضوية . ولكنني ارى ان هذا لا يبرهن على وجود الحياة في العوالم النائية التي سقطت منها النيازك اذ ان مثل هذه المركبات اكتشف كذلك في بعض الصخور الارضية الناجمة عن رواسب . يبدو ان مائية الكربون التي اعلن عنها تيموفييف ليست من منشأ عضوي.

● يقول عالمان بريطانيان انهما وجدا بعض الدلائل التي تشير الى وجود حياة في الفضاء الخارجي وذلك بواسطة فحص نيازك نزلت الى ارضنا من الفضاء . وقد دل الفحص المجهري الدقيق على وجود خلايا شبيهة بتلك التي تظهر في النباتات البدائية .

● قال الدكتور روبرت جاسترو من وكالة الفضاء المدنية الامريكية والدكتور توماس غولد من جامعة كورنيل ان كوكب الزهرة قد يكون فشل في تطوير حياة بشرية بسبب قربه من الشمس في حين ان الارض وهي الكوكب الشقيق للزهرة نجت من مثل هذا المصير باعجوبة وصرحا بان وجود حياة على ظهر الكرة الارضية قد يعود الى ان كوكب الارض تمكن من تكوين نوع جرثومي او جنيني من الحياة ثم تمكن هذا النوع من الحياة من السيطرة على الغاز الجوي الذي كان يزيد من حرارة الجو في كوكب الزهرة .

● قدم الفلكي الكسندر سوسلوف تقريرا هاما عن قنوات المريخ الى مؤتمر الجيولوجيين الفلكيين في لينينغراد . قال فيه ان ارصاد عدة سنوات اتاحت له ان يؤكد ان ما يسمى بقنوات المريخ هذه الخطوط المستقيمة الطويلة الدقيقة القاتمة اللون التي يمكن مشاهدتها بواسطة مرقب هي وديان او صدوع طبيعية نشأت من جراء تطور جيولوجي طويل في هذا الكوكب المليء بالاسرار

اليانصيب الوطني اللبناني

نصير الطبقة العاملة

* * *

اليانصيب الوطني اللبناني

خير ضمان لمستقبل اولادكم



* * *

اليانصيب الوطني اللبناني

يحقق احلامكم

* * *

ساهموا بمشترى اوراقه

الجوائز الكبرى

٥٠،٠٠٠ ل.ل ٣٠،٠٠٠ ل.ل ٢٠،٠٠٠ ل.ل



مأزق العصر الحديث

•

نسمع من هنا وهناك صيحات الاعجاب بالعصر الحديث ، وبأن الخمسين عاما الاخيرة هي أروع حقبة من حقب التاريخ الانساني كله . وقد تكون فلا شأن لي باثبات هذا او نفيه لانني اكره أفعل التفضيل في بعض تطبيقاته الذهنية . والاهم ان نبحث عن مقياس عام يمكن تطبيقه على كل الحضارات التي اقامها الانسان فوق كوكبه الصغير . ويبدو لي بادىء ذي بدء اننا نستطيع استعارة هذا المقياس من عالم الطب ، فنسميه مقياس الصحة والمرض . فالحضارات تعيش مئات والافا من الاعوام كما يعيش الانسان بضع عشرات من السنين ، تجري على الحضارات أحكام الصحة والمرض ، كما تطبق عليها سنن النمو من الطفولة الى المراهقة فالرجولة حتى الشيخوخة والعجز ، وتنتهي الى الانحلال (راجع ازفالد شبنجلر) .

ولكن مقياس الصحة والمرض يعتروه عيب اساسي ناشيء عن ان الصحة المطلقة نادرة ، بينما المرض المطلق امره معروف . وكنا ، نحن طلبة الطب ، نتندر بقول القائل انك تستطيع ان تبدأ نظريا من العطسة حتى اشد الامراض فتكا او ازمانا (راجع معنى تمنياتك لمن يعطس امامك !) . وربما كان من العسير على انسان كامل الصحة ان يتحقق من كمال صحته ، لان من اليسير على كونصولتو مؤلف من اطباء تخصص عديدين ان يكتشفوا في هذا الصحيح المعافى علة ما .. ولو في قناة الدمع او في فجوات الجمجمة (الجيوب) او في الملتحمة او القولون ، او حتى في بقايا « جزع » مفصل يعمل في الجسم مقياس رطوبة الجو !

لذلك اعدل عن هذا المقياس الطبي الى معيار فكري نعاير بـه الحضارات . فنقول بانه كلما قاربت الحضارات درجة التوازن بين « معطيات » الحضارة ، استطاعت ان تحقق التفوق من الناحية المعنوية ، والصحة من وجهة نظر الطب . ومعيار التوازن هذا لا يعني بتفاصيل مكونات الحضارة . كأن تقيس « مقدار » العلم او الفن او الفلسفة في حضارة ما . انما هو مقياس توازن بين العوامل المختلفة . فهو يدلك مثلا على ان « الاتزان » في حضارة الاثينيين بلغ الذروة ، بينما تغلبت الادارة والتشريع ونظم الحرب في الحضارة الرومانية واستفحل الفكر الديني وسيطر على المجتمع الاوربي في القرون الوسطى ، ثم اعـاد « عصر الاحياء » الى الغرب بعض صحته . كما استفحل الفكر العلمي في العصر الحديث ، وسيطر على مجتمعنا الحاضر ، فاختل التوازن من جديد .

أي ان المعيار الذي نقترح يجنبنا مفاضلات لا وجه لها ولا محل فيما يختص بالتفاصيل والا كان عصرنا الحديث دون مشاحة هو اعظم عصور البشرية . وامر هذا ما زال مفتقرا الى اثبات . ومعيارنا برفع حضارة الاغريق الى اسمى المراكز ، بالرغم من ان طالب الجامعة اليوم يعرف عن العالم اضعاف ما كان يعرفه ارسطو . ولكن هذا لا يعني بحال ان طالب الجامعة يتفوق على فيلسوف الاغريق . فالواقع ان اخطاء الطالب الفكرية ، بل اخطاء العدد الكبير من اساتذته اليوم ، تربو بكثير على اخطاء ارسطو الفكرية .

تأمل مثلا الكلام الساخر الـذي تفوه به جرمان تيتوف اخيرا عندما زعم بأنه لم يلق اثناء رحلته في الفضاء ما يثبت وجود الخالق! فلا كان هذا الرب الذي انكر وجوده رائد الفضاء ، اذا كان مجرد رحلة عبر الاف الاميال تحت الارض او فوقها ، او بين الكواكب ، تنتهي الى مكانه ، او الى اثر يدل على مكانه!.. انما تيتوف ضحية علماء النصف الثاني من القرن الماضي واوائل هذا القرن ، عندما شمخوا بانوفهم ، وزعموا ان الكون مجموعة قوانين طبيعية ، وان الحياة محض كيمياء وفيزياء . ولقد كنت احرص ايام اشتغالي بالعلم وتعليمه ان أناى بطلبتي عن الوقوع في مثل هذا الخطأ « الفكري » لان انكار وجود الخالق ، او اثبات وجوده لا دخل للعلم فيه ، ولا يمكن ان يكون من شأن العلم ابدا.

حقا ان تقدم العلوم الطبيعية ، والفيزياء بشكل خاص ، صحح الكثير من اخطاء العلم في الماضي . وخير ما في الحركة العلمية اليوم ـ ان وجد ـ هو تواضع العلماء ، وادراكهم ان الامر اعمق من مجرد معادلات رياضية او كيميائية ، وان العلم الصحيح هو ان توازن بين ما تعرف وما لا تعرف . وان لا تقف بالمعرفة عندما حققه العلم ، بل ان تدرج نفسك دائما في عداد الجاهلين لما سيؤدي ، وسوف يؤدي اليه البحث في المستقبل القريب والبعيد . فالعالم الحقيقي هو اصدق الجهلاء واحصفهم لانه اعرفهم بقصوره ، واقدرهم على خفض جناحه .

اقول هذا وانا افكر بعالم الذرة ، الرجل الكبير جدا ، اوبنهايمر . اذ اتيح لي منذ بضع سنوات ان استمع له فـي سلسلة محاضرات بالبرنامج الثالث في الاذاعة البريطانية . وكنت اتوقع منه تفسيرا موضوعيا لباحثه ومباحث انداده . واذا بالرجل يرتفع عن نطـاق العلم البحت ، والعلم التجريبي ، وشقشقـة اللسان بالمصطلحات العلمية ، الى نطاق فسيح من الفكر الانساني بعامة ، والى بحث تطور الانسان العاقل على مدى العصور . لم تكن ابدا محاضرات عالم في الذرة ، بل مفكر باقدار عالمنا ، عطوف على المجتمع البشري ، في خطاه الحثيثة نحو التقدم والمعرفة، والتوازن الذي اتخذته مقياسا للحضارات.

فهل من سبيل الى بلوغ عالمنا اليوم درجة محسوسة من التوازن ؟

اني اتابع منذ بضعة اشهر مناقشة في غاية العنف ، بدأها العلامة ، والكاتب القصصي السير تشارلس سنو ، مدير جامعة سنت اندروز باسكتلندة ، عندما شخص مرض الفصام الذي يعانيه العصر الحديث، في مقالات بعنوان « الثقافتان والثورة العلمية » . فتحدث عن الهوة التي تفصل اليوم بين « المفكرين الادباء » في ناحية ، وبين رجال العلم في ناحية أخرى . وسماها « هوة سوء التفاهم » بين الفريقين . قال الدكتور سنو بأن المفكرين الادباء الذين نشئوا على الكلاسيكيات يجهلون كل شيء عن الفيزياء الحديثة ، بينما رجال العلم لا يعرفون عن شكسبير اكثر مما يعرف الفريق الاخر عن العلم الحديث . وكأن في عين كل فريق منها « نقطة عمياء » لا ترى نشاط الفريق الاخر . وعلى هذا فهو ينصح باعادة النظر في برامج التعليم ، وبالتالي يطالب باقامة توازن اجتماعي بين حقائق العلم ، وحقائق الفكر والفن والاجتماع .

ويرد عليه الدكتور ليفيس المحاضر في الادب الانجليزي بجامعـة كمبردج ردا سليطا ليؤكد له بأن تخصص الادباء هو « مركز الادراك ، بل هو ضمير حضارتنا الراهنة » .

اما الفيزيائي الامريكي رابي فينصح بأن تنتقي الولايات المتحدة رئيسها من بين العلماء ! ويقترح كاسيدي ، استاذ الكيمياء بجامعة « ييل » اقامة « حلف بين رجال العلم والادب » .

لقد صاح اللورد رذرفورد ذات يوم قائلا : « هاكم العصر الرائـع (البطولي) للعلم » وزادت روعة العلم هذه اضعافا مضاعفة في الخمسة والعشرين عاما التي انقضت على وفاة رذرفورد . وجاء السير تشارلس

سنو ليؤكد اليوم بأن مستقبل العالم « ثاو في قرارة عظام العلماء » ، وان اكتشافاتهم التكنولوجية هي « الامل الوحيد لفقراء العالم » بل راح يؤكد ان اخلاق العلماء ادعى للثقة من اخلاق الادباء « لان في نسيج العلم عنصرا اخلاقيا هاما » .

ويصحح الاستاذ كاسيدي هذه النظرة الموحدة الاتجاه بقوله : « اذا اجتمعت قوى العلم وقوى الفن والفكر الفلسفي ، فان قواعد اخلاقية هامة سوف تنشأ عن هذا الاجتماع ، لتؤكد انبل مثاليات الانسان » .

انني اعرض هذه القضية العالمية عرضا موضوعيا ، لعل المفكرين هنا ينصرفون بعض الشيء ، عن اهتماماتهم المكانية ، الى شئون يجب ان نعنى بها عناية بقية العالم ، لا لانها مناظرة فلسفية ، بل لان امر ذلك يعنينا هنا ، وربما اكثر مما يعني الدول البالغة الواصلة . فان اخشى ما اخشاه على نهضتنا الحاضرة ان « يقين » ميزانها في ناحية فنخطىء الطريق . ولعلنا تبينا الخطر في بفع السنوات الماضية عندما نادى فريق منا بالغاء « الكليات النظرية » (؟ ؟ ! !) ، واهمال شان الادب والفلسفة والفن ، ودفع العلم اقوى الدفعات . والتقدم العلمي والتكنولوجي امر نرجوه جميعا في مصر ، وضرورته ألزم لنا من غيرنا بشرط ان لا يتحقق على حساب الادب والفلسفة والفن .

وما احوجنا في هذه الاوقات ان نتعمق التفكير فيما نادى به الاستاذ توفيق الحكيم ، وافرد له كتابه الخامس والثلاثين وعنوانه «التعادلية» .

القاهرة (الاهرام) حسين فوزي

•

كتاب « سوانح مسيحية وملامح اسلامية »

محور هذا الكتاب بعض التصاوير الدقيقة التي تزين الكتب العربية ، ولقد سماها بشر فارس « منمنمات » وهي تسمية موفقة فنيا ولغويا . تقدمت دراسات المنمنمات العربية الاسلامية بفضل امثال توماس ارنولد وادولف جروهمان وارنست كوهنل وبلوشيه في بداية هذا القرن ، وقد اذاع بعض اعمال هؤلاء العلماء عندنا المرحوم زكي محمد حسن في كتبه وخصوصا كتاب « التصوير عند العرب » سنة ١٩٤٢ الذي كان قد وضع خطته احمد تيمور . ثم توسعت الدراسات مع امثال اتنجهوزن وبختهال وبشر فارس وجاستون فييت الذي كان مديرا لدار الاثار العربية.

وقد اتفق لكاتب هذه السطور منذ سنة ١٩٣١ ان يكشف اللثام عن بعض النفائس المصورة في دار الكتب المصرية لم تكن معروفة من قبل ، اهمها منمنمات في كتب تتعلق بالفروسية والرياضة والجغرافيا والادب ، ومن هذا الباب الاخير صورتان تزينان نسخة من كتاب الاغاني للاصفهاني كتبت في اوائل القرن السابع الهجري .

على ان هذه النسخة المصورة لم تصل الينا من اجزائها الا ستة .. ثلاثة في القاهرة واثنان في اسطنبول والاخير في كوبنهاجن . وهذه المنمنمات الست هي موضوع كتاب بشر فارس .

يعرف القراء الدكتور بشر فارس شاعرا وناثرا له اسلوبه ومؤلف تمثيليات ظهرت احداها في فرنسا والمانيا والنمسا ، وقد اتيح لي ان اشاهدها في فينا سنة ١٩٥٤ . ولكن لهذا الاديب جولات طويلة في ميدان الفن وعلى الاخص التصوير الشرقي القديم والافرنجي الحديث . ومن مؤلفاته الملحوظة هنا وفي عواصم الغرب عن التصوير الشرقي «سر الزخرفة الاسلامية» كتاب يعالج التعبير الفني من الوجهة الفلسفية، « كيف زوقت العرب كتب الفلسفة والفقه » ، « كتاب الترياق » وهو بحث قدم مخطوط عربي منمنم اكتشفه المؤلف في باريس سنة ١٩٥٢ وقد نال هذا الكتاب الاخير جائزة اكاديمية الفنون الجميلة الفرنسية سنة ١٩٥٤ .

وله كتابان اخران يمهدان لكتاب اليوم . الاول عندما سبق غيره سنة ١٩٤٨ الى نشر الصورة التي تزين الجزء الحادي عشر من نسخة « الاغاني » المذكورة تحت عنوان « منمنمة دينية تمثل الرسول من اسلوب التصوير العربي البغدادي معتبرا ان الصورة تعبر عن مجادلة نصارى مدينة نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم حول طبيعة سيدنا عيسى عليه السلام . وقد اعتمد في ذلك التأويل على جملة ادلة ، اهمها القصة الواردة في ظهر الصورة وهي تروي وفود نصارى نجران على الرسول عليه افضل الصلاة والسلام .

غير ان مستشرقا انجليزيا اسمه « رايس » قام يناقش المؤلف ليشكك في ظهور الرسول في تلك الصورة . فدارت حول ذلك مناظرات طويلة اشترك فيها علماء الفن الاسلامي في مجلات اوربا وامريكا وانقسموا قسمين . فالف بشر فارس كتابه الثاني : « الفن القدسي في التصوير الاسلامي » سنة ١٩٥٥ ودلل فيه على صحة رأيه من طريق الفحص الدقيق لعناصر الصورة من حيث تكوينها الظاهر .

واما كتاب اليوم فيتناول الصور الست جميعها بحيث يتوغل الى الباطن . ومعنى هذا انه يركز كل صورة في جوها التاريخي والاجتماعي « فتشرق بما يلتف عليها من اشعة الحياة » كما يقول : الاشخاص تتحقق ومواقفهم تتبين على ضوء القصة المسرودة في الفصل الاول من كل جزء . وبذلك تتأكد الصلة التي بين المنظور والمكتوب .

وقد طلب الى الدكتور بشر فارس اثناء تأليفه الكتاب ان اسهم معه في اظهار عناصر ذلك الباطن في بعض التصاوير التي شحبت فيها الخطوط وبهتت الالوان ، وذلك من طريق التصوير الفوتوغرافي بالشعاع تحت الاحمر وباستعمال المرشحات الضوئية التي بوساطتها يمكن للعدسة ان تبعث معالم الاصل المطموس فتبرز ما لا تستطيع العين رؤيته . ويلاحظ ان هذه الطريقة تتطلب حذرا ودقة مخافة ان تشوه الخطوط فتضلل .

سارعت الى طلب الزميل خدمة للعلم والفن ، ولا سيما اني اعرف الخطوط جيدا لنشري منمنمتين منه في برلين سنة ١٩٣١ . واهم ما برز بذلك التصوير الفوتوغرافي صليب في تصوير الجزء الثاني ، فكان المفتاح الذي تناوله بشر فارس بحذق فعرف كيف يكشف به موضوع الصورة التي ظلت غامضة لجميع من فحصها قبله . وقد ذهب المستشرق « رايس » مثلا الى انها تمثل مشهد رقص وغناء في قصر امير مسلم . فجاء بشر فارس بمفتاحه ودلل التدليل القاطع على ان الصورة مجالها دير للراهبات تجري فيها مسرات عيد من جهة ومن جهة اخرى اغتسال وتظهر قبل حضور القداس والمناولة .

وعلى هذا الاسلوب من التوضيح المتمكن ظهرت حقيقة كل تصويرة . ونتيجة هذا ان حجج ذلك المستشرق تنهار جميعا امام كتاب اليوم .

وبعد توضيح كل تصويرة يأخذ بشر فارس يبحثها من ناحية تشكيلها الفني ثم يمضي في تحليل عناصرها بالنسبة الى « ما يجاورها في موقعها وبلابسها في زمنها » وهنا ينشق مجال واسع يتطرق فيه المؤلف الى ابواب شتى هي « الفن والادب والتاريخ والدين والعزف » فيدهشك التبحر في اصول تلك الابواب اذ يسوق المؤلف شواهد واخبار اكثرها لم يكن يخطر على بال ، استخرجها من نحو ثلاثمائة مرجع بعضها مهمل او غير منشور ، كما انه يسوق نوادر لاحظها بنفسه في جولاته بالبلاد العربية يتصل اكثرها بمسرات المسيحيين والمسلمين حول بيوت العبادة .

ان مضمون هذا الكتاب المؤلف بالفتين العربية والفرنسية موسوعة طريفة متماسكة تتلاحق فيها الفوائد عن اهل الملتين في البلاد العربية قديما وحديثا ولالكتاب خاتمة غنية بنظرات تتصل بفلسفة الجمال – وهو فن جديد عندنا – وقد استخلص فيها المؤلف خصائص التصوير العربي الاسلامي ومقاصده وطرائقه فاصبحت هذه الخاتمة تكملة لكتابه « سر الزخرفة الاسلامية » الذي تناول فقط فلسفة التزويق .

ولا نظن زميلنا يضيره ان اقول اننا كنا نتمنى ان نجد في النص

العربي شرحا اوفى في الوصف الفني يكون كالذي جاء تحت قلمه ايضا في النص الفرنسي . ولعل الزميل عمد هنا الى الاختصار للسبب الذي ابداه في ((التصدير)) اذ يقول للمستطرفين من قراء الافرنج صبر على الدخول في دقائق الفن حتى الفن العربي وتمرس بملاحقة تفاريقه لم ينتشرا عند اصحابنا لان مسائل الفن عندنا لم تندرج بعد في نطاق الثقافة العامة .

هذا قول لا يخلو من الصحة . ولكن نهضتنا الفكرية الحاضرة تتطلب من امثال بشر فارس ان يجودوا بمعارفهم ليشاركوا في اتساع الوعي الفني.

واقول ايضا ان مثل هذا الكتاب كان يحسن بلوحاته الفنية ان تظهر بالوان تحاكي الاصل لا بالاسود والابيض فقط ، لكي تنقل الروعة اللونية الى القارىء المتفحص . وقولنا هذا ينصرف الى نـاشر الكتاب وهو المجمع العلمي المصري الذي نفخر بجهوده في ميادين العلوم والفنون وبشهرته الذائعة في محافل المعرفة شرقا وغربا .

هذا ولعل المجمع في منشوراته المقبلة يراعي امكانيات القراء فييسر اقتناءها للافادة منها والنهل من ينابيع ثقافتها السليمة الرفيعة .

والحق ان هذا الكتاب خير عنوان لهذه الينابيع ، فقد جاء في اسلوب علمي دقيق نزيه بعيد عن السطحية خالص من حشو القول ، وعبارته سليمة موجزة مع ابتكارات عديدة في مصطلح الفنون الجميلة ، تلمع حولها لمسات الشاعر ، وناقد الفن شاعر .

القاهرة (الاخبار) — احمد موسى

●

على الاديب العربي ان يوسع آفاقه

زار القاهرة اخيرا الاستاذ عيسى الناعوري الاديب الاردني المعروف في طريقه الى ايطاليا لالقاء طائفة من المحاضرات في الجامعات الايطالية عن الادب العربي المعاصر . وقد اتيح لي ان اجتمع بالاستاذ الناعوري وان اسائله عن الزاوية التي يعالج منها مشكلات الادب ، فكانت زبدة حديثه قوله ان الاديب اليوم ينبغي ان يتابع الحركة الادبية والفكرية على صعيد عربي عام وان يسهم بقلمه وفكره في تحقيق التجاوب الادبي بين ادباء العروبة جميعا .

وهذا الكلام الذي ساقه الاستاذ الناعوري والذي يتوخاه في حياته الادبية ، هو من البديهيات التي قام عليها الف برهان وبرهان ، فقد كان الادب سباقا الى اختراق الحواجز والنفاذ الى الافئدة والقلوب فقرأ العرب جميعا آثار طه حسين وخليل مطران وعباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم والمازني والرافعي والزيات واحمد امين وهيكل وغيرهم. وترنم العرب جميعا بشعر الاخطل الصغير (اللبناني) والشابي (التونسي) والتيجاني بشير (السوداني) والزهاوي (العراقي) وانور العطار (السوري) وغيرهم وغيرهم . وكان لكل حركة ادبية صدى في ربوع العالم العربي ، وان لم يصل طرف من اخباره الينا .

فمنذ بضعة اشهر مثلا التبس على بعض الصحفيين العرب فظنوا ان الاستاذ احمد حسن الزيات ـ مد الله عمره ـ لحق بالرفيق الاعلى، فكتب في الاشادة باياديه عشرات من المقالات في ارجاء العالم العربي ، لان للزيات على الضاد والفكر ايادي لا تجحد ولا تنكر، وهي ذائعة شائعة.

وهناك مجلة ادبية فاخرة كمجلة ((الاديب)) اللبنانية مثلا . انهـا معرض للمساجلات الادبية الرفيعة التي تنجذب اليها اقلام الادباء من كل صقع عربي ، ادراكا من منشئها الاديب الكبير البير اديب بان قضايا الفكر واحدة في المعمور العربي وبان وحدة اللسان تتبعها وحدة الجنان وبان الادباء اسرة واحدة فيها الكبير وفيها الصغير ولكنها تتداعى لتأييد كل قضية فكرية من صميم القيم الادبية .

ولهذا تتبارى الاقلام الرفيعة على صفحات ((الاديب)) . فكاتب من القاهرة يعرف بشاعر من لبنان ، واديب من بغداد ينقد كتابا من دمشق وناقد من الكويت يرد على بحث جاء من المهجر وسرعان ما تتسع رقعة المشاركة في هاته القضايا فتتوارد الاراء من ارجاء الوطن العربي تجلية لنواحي القضية المعروضة للبحث واظهارا لوحدة الاهتمام وشدة الغيرة على نواميس الادب .

ولهذا يتعين على كل اديب عربي ان يجعل همه وشغله متابعة النشاط الادبي على منسوب عربي جامع ، فالشاعر موكل بالشعراء الاعارب جميعا ، والقاص منكفىء على ملاحقة كل جديد في باب القصة والناقد حريص على الا يفلت من قبضته بحث في النقد ايا كان مصدره ، وهلم جرا . فليس من الصواب ان تكون عناية الاديب عناية محلية مجردة، بل لا بد لافاقه من ان تنسرح الى كل اتجاه عربي .

والغريب ان الكثرة الكاثرة من المستشرقين تدرس الادب العربي المعاصر باعتباره ثمرة بستان واحد ، فلا تفرق بين الادباء العرب وفقا لجنسياتهم، بل وفقا لمذاهبهم واتجاهاتهم . ولذلك نراهم اذا تحدثوا عن الشعر ، وسلكوا في خيط واحد شعراء مثل ناجي وابو ((الوفا)) والصيرفـي و ((ابو ماضي)) وصيدح والقروي والاخطل الصغير وامين نخله وعمر ابو ريشه والزهاوي والرصافي والنجفي وطاهر زمخـشري والشابي والهمشري والتيجاني . فكل هؤلاء شعراء من نبتة واحدة وان تفاوتت او تباعدت مساقط رؤوسهم ، ومثل هذا يقال فـي النقد . فعند المستشرقين ان نقاد الادب المعاصر هم مندور وشوقي ضيف وعبـد الغني حسن وسيد قطب ومارون عبود وزكي المحاسني ونظير زيتون وخليل الهنداوي على اختلاف الاقطار التي ينتمي اليها اولاء .

فاذا كان هذا ديدن المستشرقين الذين قد تغيب عنهم لمحات كثيرة من الادب العربي لعجمة ألسنتهم فحري بالعرب ان يجعلوا هذا ديدنهم فتقوم دراساتهم على هذا المسرح العربي الشامـل . (وطني)

●

محاضرة الناعوري عن رواية ((النمر))

نشرت وكالة انباء ((موندار)) الايطالية في ١٩ ابريل الماضي ما يلي : رواية ((النمر)) ، وهي ذروة الاعمال الادبية الايطالية المعاصرة ، ومـا تزال تحتفظ بمكانتها كاحسن كتاب رائج بين المطبوعات الايطالية ، وقد اكتسبت قراء عديدين في بلدان اجنبية كثيرة عن طريق ترجماتها المتعددة في لغات مختلفة ، هذه الرواية كانت موضوع محاضرة عظيمة الاهميـة القاها في باليرمو ، في مقر كلية الماجستر في الجامعة ، الاستاذ عيسى الناعوري ، البحاثة الاردني الشهير ، وهو نفسه اديب ومؤلف لعدة كتب ادبية ذات اهمية كبيرة .

ولقد قام الدكتور فرانشيسكو كريسبـي ، مدير مجلـة ((تعاون المتوسط)) ، بتقديم الاستاذ الناعوري الى جمهور المستمعين الغفير ، فحدثهم عن نشاط هذا البحاثة العربي ، واعماله الفنية والادبية . ثم انطلق المحاضر يتحدث عن رواية ((النمر)) وما لها من الاهمية ، وعن صداها الواسع ككمل ادبي عظيم ، فذكر ان اسم جوزيبي توماري دي لامبيدوزا قد اصبح واسع الشهرة بفضل الحيوية التي يزخر بها كتابه هذا ، وعلى الاخص بفضل النضوج الكامل في هذه الرواية . ثم راح يحلل بعض الفصول الخاصة ، ويخضعها للنقد النير الدقيق . وممـا قاله الاستاذ الناعوري : ((من قراءة هذا الكتاب يتجلى لنا بوضوح ما بلغه توماري دي لامبيدوزا من النضوج العقلي فـي مرحلـة الخلق والابداع ، كما يتجلى لنا مدى الاتزان في هذا الاثر الادبي الفني العميق، ومدى الشاعرية في التعبير ، والتحسس باشخاص الرواية وبيئتها)) .

لقد اثارت محاضرة الاديب الاردني الكبير اهتماما بالغا في الاوساط الثقافية في صقلية وفي ايطاليا كلها ، واستحق المحاضر التصفيق الحار في ختام عرضه الواسع ، الذي دل على عمق اطلاعه على الادب الايطالي في مجموعه وفي المواقف الخاصة من ذلك الانتاج الفني .



مايو ١٩٦٢

١٠ – اعيد اول فوج من لاجئي الجزائر الى ديارهم .

– سحبت روسيا اقتراحها بنقل مؤتمر الدول الـ ١٧ لنزع السلاح من جنيف الى جمعية الامم .

– عاد شاه ايران والامبراطورة فرح الى طهران .

١١ – انتخب الدكتور رادا كريشنان نائب رئيس الجمهورية الهندية منذ ١٩٥٢ رئيسا للجمهورية .

– صدر بلاغ مشترك عن محادثات الحسن وديغول جاء فيه ان الحكومتين ستدرسان الوسائل لتنمية العلاقات بين المغرب وفرنسا ولا سيما التعاون الاقتصادي والمالي والفني .

١٢ – اطلقت الحكومة السورية سراح عدد من المعتقلين السياسيين من بينهم مأمون الكزبري ومعروف الدواليبي مع فرض الاقامة الجبرية عليهم .

– امر كنيدي وحدات من الاسطول السابع بالتوجه الى جنوب شرق آسيا بسبب التقدم العسكري الذي احرزته القوات التي يدعمها الشيوعيون في لاوس .

– رفض رئيس الجمهورية الايطالية انطونيو سيبيني قبول استقالة حكومة فانفاني .

١٣ – اذاع راديو القاهرة ان عبد الناصر استقبل عبد الحميد السراج .

– اعلن بشير العظمة رئيس الحكومة السورية عن تاليف لجنة لوضع دستور جديد.

١٥ – انزلت امريكا قوات من جنودها الى تايلاند وقال كنيدي انها للدفاع عن اراضيها وحماية استقلالها .

– صرح ديغول : اسابيع وتظهر دولة الجزائر . سياسة فرنسا الجديدة مرتكزة على تصفية الحكم الاستعماري وتقوية نفسها.

– اشتدت القتال بين القوات الشيوعية والحكومية اليمينية في لاوس . اعلن اللورد هيوم ان روسيا تجاهلت نداءات بريطانيا لردع القوات الشيوعية وتنفيذ وقف اطلاق النار .

١٦ – استقال خمسة وزراء فرنسيين بعد انشقاق في الحكومة بسبب الاتحاد الاوروبي وتصريحات ديغول .

– القوات الامريكية ترابط قرب حدود لاوس .

– حملة برمائية على متسللين اندونيسيين الى ايريان الغربية .

– اعلن خروشوف ان روسيا تستعد لاستئناف التجارب النووية ردا على التجارب الامريكية .

١٧ – كنيدي يعلق على تصريحات ديغول بشأن الرادع النووي الذي يريد انشاءه بقوله: ستنشأ حالة متزايدة الخطر اذا كانت كل دولة تشعر بان تاكيد استقلالها يستدعي منها ان تبني رادعها النووي الخاص .

– تبادل الاهانات بين النيابة والدفاع اثناء محاكمة الجنرال السابق راوول سالان .

١٨ – وصف خروشوف قرار كنيدي بانزال قوات امريكية في تايلاند بانه قرار غير حكيم . واتهم امريكا باراقة الدماء في لاوس وفيتنام لدعم انظمة حكم موالية للغرب.

– رسائل تهدد باغتيال اعضاء المحكمة الفرنسية اذا نفذ الاعدام بسالان وجوهو .

– حوادث اشتباك خطيرة بين الفرنسيين والجزائريين على الحدود .

– لندن تسعى من جديد الى حل سلمي للازمة في لاوس .

– ديغول يقول ان على اوروبا ان تلعب دور الحكم بين الدولتين الجبارتين وان عليها ان تنتهي الى وحدة سياسية .

– هدد اولبراخت زعيم المانيا الشرقية بعقد معاهدة صلح منفردة مع روسيا اذا لم يوافق الغرب على الشروط الشيوعية لتسوية قضية برلين .

١٩ – عقد في مكة مؤتمر اسلامي برئاسة الملك سعود وبحث مشروع انشاء رابطة دول اسلامية وانشاء مكاتب اسلامية خاصة في افريقيا .

– صدر بلاغ ايطالي بلجيكي يؤيد الوحدة الاوروبية على اثر محادثات لوفيفر رئيس حكومة بلجيكا وفنفاني رئيس حكومة ايطاليا.

– استيلاء المتطوعين الاندونيسيين على مطار غانجم في ايريان الغربية .

٢١ – اعلن عبد الناصر مشروع الميثاق الوطني في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في الجمهورية العربية المتحدة .

– تشتد حملات الارهاب الاجرامية التي تشنها منظمة الجيش السري في الجزائر .

– أحزاب الارجنتين تستنكر تعطيل رئيس الجمهورية مجلس الشيوخ سنة واحدة .

٢٢ – اكدت السلطات الفرنسية ان محاولة جديدة جرت لاغتيال ديغول والمتآمرون ينتمون الى منظمة الجيش السري وقد اعتقلوا .

– ارسلت اوستراليا قوة عسكرية الى تايلاند .

– اعلنت السلطات العسكرية الهولندية ان القتال قد بلغ ذروته على ساحل ايريان الجنوبي.

٢٣ – اعرب خروشوف لرئيس جمهورية مالي الذي يزور موسكو عن استعداد روسيا لمساعدة مالي .

– احتجز الروس قافلة عسكرية امريكية في برلين وتركوها تمر بعد احتجاج شديد .

– بريطانيا تستعد لارسال قوات جوية الى تايلاند وتتبعها نيوزيلندا .

– امريكا تسمح لعدة الاف من اللاجئين الصينيين في هونغ كونغ بالهجرة اليها .

٢٤ – طلب الاردن اجتماع مجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية للبحث في توحيد الموقف العربي بصدد قضية فلسطين اثناء دورة الامم المتحدة المقبلة .

– صدر الحكم في باريس على الجنرال السابق سالان رئيس منظمة الجيش السري الارهابية بالسجن مدى الحياة . وقد قوبل هذا الحكم المخفف بالاستياء .

– توصلت امريكا وروسيا الى اتفاق بشأن بيان شجب الدعاية الحربية الذي سيقدم الى مؤتمر نزع السلاح في جنيف .

٢٥ – نجدات هولندية جديدة الى ايريان الغربية . يوثانت امين الامم المتحدة يتابع مساعيه للتسوية .

– اعلن خروشوف تعهده بالسعي لاقامة حكومة ائتلافية في لاوس .

– راسك يدعو الى اخضاع الفضاء الان لتنظيم دولي تفاديا للاخطار .

– اعلنت المانيا الغربية انها تدرس امكان تلبية رغبة المانيا الشرقية في الحصول على قروض تجارية كبيرة .

– معركة عنيفة في مجلس نواب نيجيريا الغربية في ابيدان طعن خلالها احد الوزراء بسكين .

٢٦ – عبد الناصر ينادي بهيئة لرئاسة الجمهورية بدل الحكم الفردي ومجلس وزراء ووزراء ينتخبهم البرلمان .

– اعترف جوزيف فراندي مساعد الجنرال سالان بأن سالان دفع نصف مليون ليرة رشوات وكانت شخصيات سياسية فرنسية تساعده ضد ديغول .

– تجري محادثات بين ادولا وتشومبي في ليوبولدفيل وصدر بلاغ مشترك يعلن اتفاقهما

على تشكيل لجان للبحث .

ـ القيت متفجرات على جدار برلين الفاصل بين قطاعي المدينة احدث فيه فجوة.

ـ ابلغت هولندا الامم المتحدة قبول مشروع الدبلوماسي الامريكي بنكر كاساس للمفاوضات مع اندونيسيا .

٢٨ ـ يقوم الجيش السري في الجزائر بحملة عنف جديدة تستهدف خراب الجزائر وتدميرها وقد بدأ نسف المدارس والمكاتب الحكومية . وفي باريس تمكن الجنرال سالان من تهريب رسائل الى اتباعه .

ـ تواصل القوات الشيوعية في لاوس زحفها بينما تنسحب القوات اليمينية امامها.

٢٩ ـ رفضت المحكمة الاسرائيلية العليا استئناف ادولف ايشمان ضد حكم الاعدام الصادر عليه واكدت ادانة الكولونيل النازي السابق بتهمة محاولة افناء اليهود .

ـ واجهت بورصات اوروبا ونيويورك تدهورا جسيما في اسعار الاسهم لم يحدث مثله منذ ٣٣ سنة وبلغت خسائر الاسهم في نيويورك مليارات الدولارات .

ـ نفى عبد الرحمن فارس رئيس الهيئة التنفيذية الجزائرية قيام أي اتصال بين الهيئة ومنظمة الجيش السرية لاجراء مفاوضات لانهاء حالة الفوضى .

ـ روسيا تسحب في مؤتمر جنيف فجأة تأييدها للبيان الامريكي السوفياتي بشجب الدعاية الحربية .

ـ قامت طائرات فيتنام الجنوبية بقصف مراكز العصابات الشيوعية في شمالي البلاد.

٣٠ ـ استقال عصمت اينونو رئيس الحكومة التركية .

ـ عادت اسعار الاسهم العالمية في البورصة فارتفعت بسرعة .

ـ وجه كرادلة فرنسا الكاثوليك نداء الى اوروبي الجزائر لوقف اعمال الارهاب لانها غير جديرة بالمسيحية والمدنية .

ـ اعلن في ليوبولدفيل اتفاق ادولا وتشومبي على تشكيل لجنة لدمج قواتهما المسلحة .

ـ اعلن قائد السلاح الجوي الفرنسي انه سيكون لدى فرنسا طائرات تحمل رؤوس نووية في عام ١٩٦٤ .

ـ احتل الشيوعيون بلدة جديدة في جنوب لاوس وازدادوا اقترابا من حدود تايلاند .

ـ خروشوف يحمل على السوق الاوروبية المشتركة ويدعو الامم المتحدة الى اقامة منظمة تجارة دولية .

٣١ ـ اعدمت اسرائيل ادولف ايشمان .

ـ اعلن المفوض السامي لتنجانيقا في لندن سي. تومبو ان تنجانيقا ستصبح جمهورية قبل نهاية العام وستبقى في الكومنولث .

ـ قتل ٥ الاف في الجزائر منذ عقد اتفاق ايفيان . بلغ عدد الاوروبيين الذين تركوا الجزائر الى فرنسا مائة الف والهجرة مستمرة.

ـ محادثات دبلوماسية تمهيدية تجري الان في وشنطن لتسوية الخلاف بين امريكا وفرنسا .

ـ لندن تدعو موسكو الى العمل لانقاذ السلم في لاوس . طائرات وقوات اخرى غربية تصل الى تايلاند .

يونيو ١٩٦٢

١ ـ بدأت المحكمة العسكرية في لبنان محاكمة القوميين المتهمين بالقيام بالحركة الانقلابية الفاشلة يوم ٣١ ديسمبر الماضي .

ـ ارسلت الهند احتجاجا شديدا لكل من الصين الشعبية وباكستان بسبب قرارهما اجراء مفاوضات حول الحدود وحذرتهما من النتائج الخطرة .

ـ اعتقال ٤١ شخصا في كوريا الجنوبية بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم .

ـ قررت الحكومة الفرنسية تجنيد النساء اجباريا لفترة لا تتجاوز ثلاثة ايام .

ـ جرى اشتباك بين اليساريين والفاشيين في روما .

٢ ـ دعا العراق سفير امريكا الى الرحيل واعلن سحب سفيره من وشنطن لانه اعتبر قبول الولايات المتحدة اوراق اعتماد سفير الكويت عملا غير ودي تجاه العراق .

ـ اجتمع ديغول وماكميلان في ضاحية باريس وتباحثا في الموقف الدولي والسوق المشتركة ووحدة اوروبا السياسية .

ـ قامت حامية بحرية في فنزويلا بحركة تمرد ثورية على الحكومة .

٣ ـ استردت قوات الحكومة القاعدة البحرية من ايدي المتمردين في فنزويلا وقد بلغ عدد القتلى ٢٥٠ شخصا .

ـ تشكيل محكمة عسكرية في الجزائر للنظر في الجرائم الناجمة عن الوضع الجديد.

٤ ـ اصدر المؤتمر الاسلامي الشعبي الخامس الذي عقد في بغداد قراراته بشأن العالم الاسلامي ودعا الى اصدار اعلان رسمي يتعلق بكيان فلسطين وتنظيم الفلسطينيين عسكريا .

ـ اعلنت منظمة الجيش السري استئناف اعمال الارهاب في الجزائر وكانت قد اوقفت قبل خمسة ايام حملات التخريب على امل التوصل الى شروط وضمانات في محادثات مع الجزائريين تتعلق بمستقبل المستوطنين الاوروبيين .

ـ صدر بيان امريكي خطير باستنكار استئناف الارهاب بالجزائر .

ـ الامير الحيادي سوفانافوما اجتمع بملك لاوس ودعا الى عقد اجتماع لتاليف حكومة ائتلافية تجنب البلاد الويلات .

٥ ـ الجنرال جوهو المحكوم عليه بالاعدام ناشد الجنرال سالان اصدار امر الى منظمة الجيش السرية بوقف الاعمال الارهابية بالجزائر فورا .

ـ المنظمة الارهابية تجدد السعي للمفاوضة مع الوطنيين الجزائريين وتؤجل حملاتها الارهابية .

ـ استقبل كنيدي المطران مكاريوس الذي يزور وشنطن رسميا .

ـ رئيس وزراء السنغال محمد ضيا وصل موسكو في زيارة رسمية .

ـ اديناور يعد المانيا الشرقية بقروض اذا ازالت الجدار الفاصل في برلين .

ـ اجرى اولبراخت الزعيم الشيوعي في المانيا الشرقية محادثات مع خروشوف .

٦ ـ بشير العظمة رئيس الحكومة السورية يعلن مشروع اتحاد فدرالي يبدأ مع مصر ثم العراق ويعرض على استفتاء عام .

ـ اعلنت المنظمة الارهابية استئناف حملتها في الجزائر . ديغول يلمح ألى امكان العفو عن جوهو .

ـ وقع مندوبو الجمهورية العربية المتحدة والمغرب والاردن والكويت وسورية اتفاق الوحدة الاقتصادية بين الدول العربية . وحثوا الدول الباقية على الانضمام .

ـ بدأ المؤتمر الشيوعي الاقتصادي اعماله في موسكو .

ـ اكتشفت في لبنان شبكة تجسس تعمل لحساب اسرائيل وقبض على افرادها .

٧ ـ احرقت منظمة الجيش السري جامعة الجزائر .

ـ وصل فانفاني رئيس وزراء ايطاليا الى تونس في زيارة رسمية .

ـ رفضت المانيا الشرقية عرض اديناور مدها بالقروض بشرط ازالة جدار برلين .

ـ زعيم حزب العمال يتهم الحكومة البريطانية بالمبالغة في تقدير فوائد الانضمام للسوق الاوروبية .

ـ المطران مكاريوس يحمل في الامم المتحدة على التجارب النووية في الجو ويدعو لانشاء قوة دائمة للسلام .

٨ ـ ألغيت الاحكام العرفية في باكستان التي اعلنت سنة ١٩٥٨ .

ـ ديغول يعلن قيام الجمهورية الجزائرية بعد ٢٣ يوما . ويقول لكي نقوم بدورنا يجب ان نبقى امة كبيرة .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت - ت: ٢٤٦١٨٥